

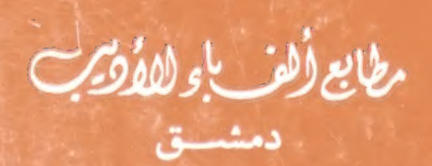
# THE HARVEST OF SERMONS

by

## IGNATIUS ZAKKA I IWAS

Patriarch of Antioch and All the East
Supreme Head of the Universal Syrian Orthodox Church

Damascus - Syria
1984



حصاد المواعظ

١٥٠٠ نسخة/٤/١٩٨٤

**الطبعة الأولى**

مطابع ألف باء ـ الأديب ـ دمشق

الناشر : **بطريركية السريان الأرثوذكس** ـ دمشق

تصميم الغلاف : أكرم أفدار

# حصاد المواعظ

ܡܢ̈ܘܐ ܘܟܪܘܙܘܬܐ

تأليف


## مار أغناطيوس زكا الأول عيواص

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

للسريان الأرثوذكس

ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܙܟܐ ܩܕܡܝܐ

ܦܛܪ̄ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ



دمشق – ١٩٨٤

## ܒܘܬܪܐ

ܠܡܫܝܚܐ ܦܪܘܩܐ ܠܐܠܗܐ ܡܫܒܚܝܢ ܘܡܘܕܝܢ:

ܕܒܟܠܗܘܢ ܙܒܢܐ ܕܡܬܬܘܗܝܢ ܕܒܢܝܐ ܥܠ ܬܘܪܨܐ ܪܘܚܢܝܐ: ܕܐܦܝܠܘ ܡܠܝܟ ܗܘܐ. ܒܪܡ ܕܝܢ ܗܢܐ ܕܒܗܝܠܐ ܕܡܫܝܚܐ ܒܢܝܢܐ ܘܡܟܬܒܢܐ ܕܒܥܠ ܡܬܝܕܥܐ ܪܒܐ ܗܘܐ ܠܗ ܥܠ ܡܬܟܬܒܢܐ ܪܘܚܢܝܐ.

ܒܪܐ ܒܙܒܢܐ ܘܡܟܬܒܢܐ ܪܒܐ ܕܒܝܬܐ ܒܗܘܢ ܕܡܬܥܕܪܐ ܗܘܐ ܕܐܠܗܐ ܥܠ ܐܪܥܐ. ܘܡܢ ܗܘܢܐ ܒܗ ܠܐܠܗܐ ܡܦܪܥܐ ܠܟܠܢܫܐ ܠܟܠܗܘܢ ܒܡܫܒܚܬܗ ܕܡܢ ܗܝܕܝܢ ܡܫܝܚܐ ܕܠܗܘܢ ܐܝܬܘܗܝ ܘܬܘܪܨܐ ܘܫܘܪܪܐ ܘܫܝܢܐ. ܘܒܗܘܢ ܡܫܡܠܝܐ ܡܠܬܗ ܦܘܩܕܢܗ: ܬܘ ܠܘܬܝ ܟܠܟܘܢ ܠܐܝܐ ܘܫܩܝܠܝ ܡܘܒܠܐ ܘܐܢܐ ܐܢܝܚܟܘܢ (ܡܬܝ ܝܐ: 28)

ܘܐܝܟ ܕܡܬܘܡܐ ܡܫܒܚܝܢ ܠܒܝܫܐ، ܒܦܪܨܘܦ ܡܫܝܚܐ، ܕܠܬܘܪܨܐ ܕܢܦܫܐ ܡܬܬܠܝܐ ܐܝܟ ܘܦܘܩܕܢ ܕܠܝܚܐ ܢܦܫ ܐܝܟ ܒܥܠܬܐ ܗܢܐ ܕܥܠ ܐܒܗܬܐ ܕܠܐ ܚܛܝܐ ܕܬܘܪܨܐ‹‹ ܡܬܟܬܒܝܢ، ܕܡܠܬܐ ܛܒܐ ܠܟܘܢ. ܘܒܠܗܘܢ ܬܘܪܨܐ ܪܒܐ ܒܝܬܐ ܥܠ ܐܦܐ ܕܡܫܒܚܝܢ ܒܗܐ ܐܝܟ.

ܒܟܠܗ ܗܘܝܠ ܠܐܠܗܐ ܗܘܐ ܗܘ: ܕܬܘܪܨܐ ܗܢܝܢ ܠܟܘܪܚܢܐ ܠܢܦܫ ܘܡܫܒܚܐ ܕܡܫܬܘܐܐ ܠܗܘܢ ܡܫܬܡܥܝܢ ܘܡܬܟܬܒܝܢ ܕܡܬܦܪܢܣܝܢ ܠܟܠܗܘܢ، ܘܢܫܬܘܐ ܐܢܫ ܒܗ ܐܦܐ ܪܘܚܐ ܕܐܬܒܠܝܘܢ ܡܢ ܚܝܠܐ ܕܢܦܫ ܕܒܬܐ ܡܬܒܣܡܝܢ ܠܐ ܢܗܘܐ ܒܗܘܢ ܘܠܟܠܗܘܢ.

ܕܪܡܣܘܩ: ܐ-ܒ- ܐܕܪ ܡܪ. ܣܘܣܢܐ

# توطئة

نحمد الله حمداً كثيراً ثم نقول :

لم يكن هذا العالم يوماً بحاجة ماسّة الى الغذاء الروحي كحاجته اليه اليوم ، فان هذا الدرك المتدنّي الذي وصل اليه البشر ، متفنّنين في ارتكاب الآثام وفي اقتراف الجرائم ، وفي تدمير القيم ، بدءاً من الأسرة الصغيرة الى المجتمع الكبير ، يدعونا الى التساؤل : ما هي مسؤولية الكنيسة ازاء ما يجري ؟

لا شك في أنّ الكنيسة مسؤولة روحيّاً واجتماعياً عن اصلاح المجتمع وتجديد بنائه ، لأنها مؤسسة الهية ، بل هي ملكوت الله على الأرض وجسد المسيح السرّي الذي رأسه المسيح بالذات .. فمن واجب الكنيسة أن تقدّم الله للبشر ، وأن توصل البشر بالله ، عن طريق رأسها المسيح ، الذي هو النور والطريق والحق والحياة ، وبذلك تكون الكنيسة قد عالجت مشاكل الانسان ، ووضعت الدواء الشافي لأمراضه الخبيثة المستعصية ، لأن فادينا ومخلّصنا الرب يسوع ، ينادي دائماً ، قائلا : « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » ( مت ١١ : ٢٨ ) .

ورسالتنا الروحية تتطلب منّا أن نولي الروحيات أولى اهتماماتنا ، فالرب يقول : « مَنْ هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيّده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه . طوبى لذلك العبد الذي اذا جاء سيّده يجده يفعل هكذا » ( مت ٢٤ : ٤٥ ـ ٤٦ ) .

ويأتي في مقدّمة مهام خادم الكلمة الوعظ بالكلمة ، وها هو الرسـول بولس يوصي تلميـذه تيموثاوس : « أكرز بالكلمة أعكف على ذلك ، في وقت مناسب وغير مناسب ٠ وبِّخ، انتهر ، عظ بكل أناة وتعليم » ( ٢ تي ٤ : ٢ ) ٠ وقد مارسنا الوعظ ، بنعمة الله ، منذ أن كنـّا في سنّ مبكرة ٠

ولأول مرة ، نبـدأ بجمع مواعظنـا في كتاب سمّينـاه « حصاد المواعظ » ، وهو ينطوي على سبع مواعظ في الميـلاد والقيامة ارتجلناها في كاتدرائية مار جرجس في دمشق ونقلتها الاذاعة السورية في حينها ، وعلى موعظة في التوبة ارتجلناها في بغدادلمناسبة يوم الصلاة العالمي، وعلى أربعةمنشورات بطريركية أصدرناهالمناسبة الصيام الأربعيني المقدس، وعلى خمسة أحاديث روحية مطوّلة ، وكلّها مواعظ روحية ٠٠٠ وقد نشرنا هذه المواعظ والمنشورات والأحاديث في مجلتنا البطريركية في دمشق عبر أعدادها الشهرية ، وجمعناهـا الآن لتكون في متنـاول أيدي قرّائنا الأعزاء، مستمدّين القوة من باري البرايا، ليجعل كلمته المقدسـة نبراساً للهـدى ومصدراً للفهم والتعليـم ، ومرتكزاً وطيداً للايمان والرجاء والمحبة ٠

ونسـأله تعالى أن يجعـل ( حصاد المواعـظ ) ، حصادَ خير وبركة للقرّاء الأعزّاء ، ومشعلا للايمان القويم ، ومرشداً الى ينابيع مياه الانجيل الحيّة التي لايعطش شاربها الى الأبد٠

دمشق في ١٩٨٤/٣/١ المـؤلـف

# ملء الزمان

## من مواعظ الميلاد المقدس*

### (١)

« ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني » ( غلا ٤ : ٤ ) ·

يبدأ تاريخ كل امرىء في هذه الحياة منذ ساعة ميلاده ، لأنه قبل ذلك لم يكن في الوجود ، أما ربنا يسوع المسيح فلا بدء لتاريخه · فهو الكلمة الذي قال فيه الانجيلي يوحنا : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١:١) وقال عنه النبي ميخا : « ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » ( ٥ : ٢ ) وقال هو عن نفسه : « أبوكم ابراهيم تهلَّل بأن يرى يومي فرأى وفرح··· قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن» ( يو ٨ : ٥٦ و ٥٨ ) ـ وأعلن عنه دستور الايمان النيقاوي عام (٣٢٥ م) انه « نور من نور اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر » ·

هذا هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس المولود من الآب أزلياً ولما رأت المشيئة الالهية أن تفدي الانسان تقرر أن

---

*الموعظة التى ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المنقول عبر اذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨٠/١٢/٢٥ · ونشرت في المجلة البطريركية العدد الأول لشهر كانون الثاني ١٩٨١ ·

يتجسد فولد من مريم العذراء في ملء الزمان وصار ابن الانسان وهو ابن الله · والأبوة والبنوة بالنسبة للآب السماوي وابنه الحبيب ربنايسوع المسيح أمر يسمو عن ادراكنا ولا يمكن أن يشبه بالأبوة والبنوة البشريين · ويصف الكتاب المقدس سر التجسد العجيب بقوله : « والكلمة صار جسداً » (يو ١ : ١٤) فقد جبل له من دماء العذراء مريم جسداً كاملاً وولد منها ولادة عجيبة في بيت لحم أفراثا اتماماً لنبوات ميخا وأشعيا وغيرهما من الأنبياء · وقد مهّد لميلاده العجيب قبل حدوثه بآلاف السنين بالوعود والنبوات والرموز والاشارات ليهيىء البشرية لفهم هذه الحقيقة الالهية · وكان الله قد كلّم الآباء والأنبياء بطرق عديدة قبل أن كلمنا بابنه الحبيب (عب ١ : ١ و ٢) الذي فيه وحده تكمل شروط المخلص · وحيث أنه جاء مخلصاً للعالم أجمع شاءت ارادته الالهية أن تترجم أسفار الكتاب المقدس الى اللغة اليونانية لغة الثقافة بأمر بطليموس في الاسكندرية قبل مجيء الفادي بقرنين من الزمان تقريباً ، ليطّلع العالم الوثني على ما تنبأ به الأنبياء عنه ·

ففي « ملء الزمان » كانت المعصية قد كملت والاثم قد تم ، وكادت الأسابيع السبعون المذكورة في نبوة دانيال أن تتم أيضاً ، وظهرت حاجة البشرية الماسة الى المخلص ماسيا المنتظر· فالديانة اليهودية لم تقوَ على خلاص الانسان من خطيته · كما عجزت النظريات الفلسفية والاجتماعية الوثنية عن انقاذه من شروره · حيث كان اليهود قد فسدوا وحادوا عن الناموس وأهملوا النبوات وعندما ادّعوا أمام الرب يسوع قائلين : « لنا أب هو ابراهيم » أجابهم : « لو كنتم أبناء ابراهيم لكنتم عملتم أعمال ابراهيم · أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تفعلوا » ( يو ٨ : ٤٤ ) وصب الرب ويلات على

زعمائهم من الكتبة والفريسيين قائلا" أتركوهم هم عميان" قادة عميان وان كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة » ( ١٥ : ١٤ ) ٠

أما الوثنية فقد استبدلت حق الله بالكذب وعبدت المخلوق دون الخالق ٠ وانحطت بالانسان الى درك المعاصي والتمرغ بالشهوات ٠

« فالجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » بل اله المجد ، ولقد سخَّر الله قوات البشرية لخدمة مقاصده الالهية ٠ فحكم الرومان أغلب أجزاء العالم المعروف في ذلك الزمان وبلطوا الطرق ووسَّعوها ، واستعمروا البلاد وسيَّروا سفنهم في البحار ، ممهدين بذلك الطريق لنشر البشارة الانجيلية دون أن يعلموا

وأثقلوا النير على العباد وظلموهم ٠

فعلا أنين الناس وارتفع ، وانتظروا ماسيا المخلص وظنوه مخلصاً بشرياً من سلطة الرومان ولم يعرفوا أنه سيخلصهم من سلطان الخطية والموت الشيطان ٠

أجل يرى المراقب أن قوات عديدة دينية وفلسفية وثقافية واجتماعية وسياسية كانت تحكم العالم قبل ميلاد الرب يسوع ، ولكن كانت هناك قوة سامية وارادة الهية وراء تلك القوات البشرية ألا وهي قوة الله تعالى وارادته العظمى فارادة الله هي وراء حوادث التاريخ أمس واليوم والى الأبد ٠

هو ذا أمر يصدر من أغسطس قيصر لتكتتب كل المسكونة ويعني بالمسكونة الأجزاء التي كانت خاضعة سياسياً لسلطة الدولة الرومانية في العالم المعروف يومذاك ٠ وكانت غاية أوغسطس قيصر الافتخار بامتداد أرجاء مملكته وتسهيل أمر

جباية الضرائب من الخاضعين لسلطانها · ولكن قصد الله من وراء ذلك الاكتتاب كان ليثبت أنه حقاً قد أرسل ابنه الحبيب الى العالم فولدته ابنة داود في بيت لحم مدينة داود ، لذلك كانت ارادته تعالى ألاّ يجري الاكتتاب بحسب نظام الرومان وحسب بل أيضاً بموجب تقليد اليهود وهو أن يذهب كل واحد الى مدينة آبائه عند التسجيل ·

وهكذا جاء الى بيت لحم أفراثا ، يوسف البار وخطيبته العذراء مريم وهي حبلى ، جاءا من الناصرة الى بيت لحم وهما لا يعلمان القصد من ذلك الاكتتاب ، وبينما كانا هناك تمت أيام مريم لتلد ( لو ٢ : ١ ـ ٥ ) ولم يكن لهما منزل في الموضع وموضع في المنزل ، فالتجأا الى مغارة بسيطة ··· وولدت العذراء ابنها البكر « يسوع » المخلص ، « عمانوئيل » الله معنا. وسجل اسمه في سجلات المملكة · ويستشهد يوستينوس الشهيد وترتليانس وغيرهما بسجلات الامبراطورية الرومانية وهم يقيمون الحجة على أن ماسيا قد جاء الى العالم ، وولد بحسب النبوات في مدينة داود لأنه من نسل داود · فاليهود لا عذر لهم برفضه ·

أجل ، في ملء الزمان ولد الاله من عذراء ، ولد تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني ، وسجل اسمه في سجلات المملكة كسائر البشر ، ودخل التاريخ بل صار زمن ميلاده تاريخ التواريخ ، وبدأ بميلاده عهد النعمة ، والرحمة ، والحق ، والعدالة ، والمساواة ·

ها هي ذي الخطية تتزعزع أركانها لأن اله السماء قد كلم أبناء الأرض بابنه الحبيب ، فالملائكة هتفت مبشرة الرعاة البسطاء أن « قد ولد لكم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب»

« المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة ».
والنجم يأتي بحكماء المشرق ليسجدوا له مقربين هداياهم ذهبا ولباناً ومراً معترفين بألوهته وملكه وفدائه ، وهيرودس الملك الطاغية يرتعب وأورشليم معه ، وعلماء اليهود وكهنتهم يعلنون نبوة ميخا عن مكان ميلاد ماسيا ولكنهم لا يستحقون النعمة فيهملون التفتيش عن المخلص ولا يبالون بخلاص نفوسهم فيرفضون من الله ويتم فيهم قول الكتاب : « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله » ( يو ١ : ١١ و ١٢ ) ·

أجل لقد ولد متواضعاً ، ناكراً ذاته ، واشترك معنا في اللحم والدم ، وأخذ كل ما لنا ما عدا الخطية · ليعطينا نعمة التبني · فنكون أولاداً لأبيه السماوي بالنعمة ·

فلنقدم له المجد مع الملائكة ، والسجود مع الرعاة ، والهدايا مع حكماء المشرق · ولنهيىء قلوبنا منازل نقية طاهرة ليولد فيها روحياً فيملك علينا الى الأبد ويكون الهنا ونكون له شعباً مقدساً ·

وبمناسبة ذكرى ميلاده المقدس ، يطيب لنا أيها الأحباء أن نهنئكم جميعاً ، وأن نهدي البركة الرسولية الى أبناء كنيستنا وبناتها في أرجاء العالم سائلين مولود بيت لحم القدوس أن يصونهم بالصحة التامة والتوفيق الروحي الجليل لينعموا بأعياده سنين عديدة والنعمة معكم آمين ·



# ميـلاد المخلـص

## من مواعـظ الميـلاد المقـدس*

## (٢)

« **فقال لهم الملاك لا تخافوا ٠ فها أنا أبشركم بفرح عظيم، يكون لجيمع الشعب انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب** » ( لو ٢ : ١٠ و ١١ ) ٠

في هذا اليوم المقـدس ، تقـرع أجراس الكنائس معلنـة بأنغامها الشجية ، ورناتها المبهمة ، أفراح المؤمنين بعيد ميلاد فاديهم الالهي ، وهم يشاركون ملائكة السماء بتمجيده ، فقد صار الاله انساناً ، وأزاح عن كاهل البشرية كابوس الأحزان ، وملأ القلوب مسرات وأفراحاً ٠

وفي هذا اليوم المقدس أيضاً ، يتبادل المؤمنون التهـاني القلبية والهدايا الثمينة ، مشيرين بذلك الى أثمن هدية قدمتها السماء للأرض يوم الميلاد ألا وهو المخلص المسيح الرب ٠

ففي هذه الذكرى السعيدة ، ننتقل بأفكارنا وأنظارنا الى بيت لحم أفراثا ، الى مغارة متواضعة حيث ولَـدت العذراء مريم ، قبل عشرين قرنا ، ابنها البكر ، وهو بكر الآب السماوي

---

* الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر اذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨١/١٢/٢٥ ٠ ونشرت في المجلة البطريركية العدد ١١ لشهر كانون الثاني ١٩٨٢ ٠

أيضاً ، وقمطته ، ووضعته في مذود ، اذ شاء أن يولد فقيراً ، فأهمله بنو قومه ، وتم بذلك ما قاله النبي أشعيا قبل ذلك التاريخ بسبعمائة سنة ان « الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما ... شعبي فلا يفهم » ( اش ١ : ٣ ) .

وان حوّلنا الآن أنظارنا الى السماء ، نراها مهتمة جداً بهذا الحدث الالهي العظيم ، فقد مهدت له عبر الدهور والأجيال بالنبوات والرموز والاشارات ، وأرسلت كبير الملائكة جبرائيل الى الأرض مرات عديدة فحدد للنبي دانيال تاريخ وقوع هذا الحدث قبل موعده بخمسة قرون. ولما بلغ ملء الزمان بشّر جبرائيل العذراء مريم بالحبل الالهي موضحاً لها بأن الروح القدس يحل عليها وقوة العلي تظللها لذلك فالقدوس المولود منها يدعى ابن الله .

ويوم الميلاد أعلنت السماء فرحتها بميلاد ماسيا الذي انتظرته الشعوب والأجيال ، فانحدر الملاك من السماء ووقف برعاة بسطاء يسهرون على أغنامهم يحرسونها حراسات الليل على هضاب بيت لحم أفراتا . ومَن أجدر من الرعاة بالبشارة بولادة الحمل الوديع « حمل الله الرافع خطايا العالم » كما دعاه يوحنا المعمدان بعدئذ ؟!

ولما وقف الملاك بالرعاة أضاء مجد الرب حولهم فخافوا خوفاً عظيماً ، وسقطوا على وجوههم ، ذلك أن الناموس كان قد كشف سر الخطية ، وقدر حجمها ، ولكنه لم يصف لها الدواء الناجع . وكانت الخطية تعذب ضمير الانسان فيرى نفسه هالكاً لا محالة لأن الغضب الالهي مستعر وجمره ملتهب متقد ، لذلك فرؤية الملاك الذي يمثل السماء يخيف الانسان من السماء الغاضبة . ولكن الملاك يطمئن الرعاة ويحول خوفهم

العظيم الى فرح عظيم قائلا : لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطاً مضجعاً في مذود · وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين : « **المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة** » ( لو ٢ : ١٠ ـ ١٤ ) يا لها من قصيدة بديعة فريدة يتيمة ، نظمتها السماء ولحنتها وأنشدتها ، وقد أنعم على الأرض ، لأول مرة بعد دخول الخطية اليها ، أن تسمع ألحان المجد الشجية وأنغام السلام الروحية يوقعها على قيثارة الروح ملائكة السماء معلنين بهجة الخليقتين المنظورة وغير المنظورة بالحدث العظيم ألا وهو ميلاد المخلص والذي هو المسيح الرب ، الذي به زال الخوف وعمت الطمأنينة وكسر السيف الملتهب الذي قبض عليه الكروبيم أمام جنة النعيم لحراسة طريق شجرة الحياة ونقض سياج العداوة بين الاله والانسان ، وحل السلام وتبددت الأحزان وامتلأت القلوب مسرات وأفراحاً · فحق للملاك أن يبشر بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، ذلك أن المسيح المولود في بيت لحم هو مسيح العالم كله · لا فرق لديه بين أمة وأمة ، ولغة ولغة ، لا فرق بين رجل وامرأة ، شيخ وطفل ، غني وفقير ، كبير وصغير فهو الكل في الكل ( كو ٣ : ١١ ) وهو للكل على اختلاف أجناسهم وحضاراتهم وطبقاتهم الاجتماعية ومذاهبهم الدينية لأنه جاء ليكسّر اطارات الأنانية المقيتة والعنصرية البغيضة والتعصب الذميم وينشر البهجة والسرور في قلوب الناس ونفوسهم ، ويهب الراحة والسلام لضمائرهم · ألم تفرح العذراء مريم فرحاً روحياً عارماً لما قالت لها اليصابات نسيبتها « مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك ، فمن أين لي هذا أن تأتي

أم ربي اليّ » ( لو ١ : ٤٢ و ٤٣ ) . فأنشدت مريم أنشودتها الخالدة ، وتهللت قائلة : « تعظم نفسي الرب ، تبتهج روحي بالله مخلصي ، لأنه نظر الى اتّضاع أمتَه . فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوّبني ، لأن القدير صنع بي عظائم » ( لو ١ : ٤٦ ـ ٤٩ ) .

هذا هو الفرح الروحي الذي يملأ قلوب الأبرار بالخلاص بالرب ، وهو ليس كالأفراح الدنيوية الزائلة ، أجل ليس كأفراح الأمم « الفرحين بفعل السوء المبتهجين بأكاذيب الشر » ( أم ٢ : ١٤ ) ولكنه فرح سماوي مقدس كقول الرسول بولس « ان ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً بل هو سلام وفرح في الروح القدس » ( رو ١٤ : ١٧ ) وكقول الرب « افرحوا لأن أسماءكم كتبت في السموات » ( لو ١٠ : ٢٠ ) فافرحوا بالرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا » ( في ٤ : ٤ ) فقد ولد لنا مخلص هو المسيح الرب ، حمل الخروف الضال على منكبيه وأتى به الى حظيرة الخراف ، وقبل الابن الشاطر العائد الى بيت أبيه ، وأعلن لنا « ان السماء تفرح بخاطىء واحد يتوب » ( لو ١٥ : ٧ و ١٠ ) .

أجل ولد لنا في مدينة داود مخلص تمت بميلاده نبوة النبي ميخا القائل « وأنت يا بيت لحم أفراتا وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج مدبر يرعى شعبي ... ومخارجه منذ القدم منذ أيام الأزل » ( ميخا ٥ : ٢ ) فهذا المخلص قد رعى الشعب رعاية صالحة اذ شفى المرضى وأقام الموتى ، وعزّى الحزانى ، وفرّج عن المكروبين ، وهدى الضالين . ولا غرو فقد أعلنته السماء مخلصاً . فهذا جبرائيل كبير الملائكة يطمئن يوسف البار خطيب العذراء مريم بقوله : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من

الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » ( مت ١ : ٢٠ و ٢١ ) فالخلاص هو الغاية الأولى من تجسده خاصة وأن البشرية كانت بأمس الحاجة اليه لأنها لم تقوَ على خلاص ذاتها فانتظرته لينهضها من كبوتها ويعيدها الى برها الأول ٠

هذا هو المخلص المسيح الرب ٠ انه المسيح ، وبالسريانية ( مشيحو ) ماسيا المنتظر ، المسيح الحقيقي الوحيد الذي ظهر في العالم الذي مسحه الرب الاله بدهن الابتهاج أكثر من رفقائه ( مز ٤٥ : ٧ ) وكما كان الملوك والكهنة والأنبياء يمسحون بزيت لما يتقلدون رتبهم السامية هكذا مسح الرب يسوع بزيت الابتهاج كقول الكتاب فهو الممسوح ملكاً وكاهناً ونبياً ، فهو ملك طبقاً لقول الملاك لأمه العذراء مريم : « ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » ( لو ١ : ٣٢ و ٣٣ ) وهو كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق ( عب ٧ : ١٧ ) ٠ وقد قدم نفسه ذبيحة لله ففدى البشرية بدمه الكريم ٠ وهو نبي بل هو رب الأنبياء ٠

وقد أعلن الرب في بدء تدبيره الالهي بالجسد أنه مسيح الرب ، لما دخل المجمع في الناصرة وقام ليقرأ : « فدفع اليه سفر أشعياء النبي ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية ، وأكرز بسنة الرب المقبولة ٠٠٠ فابتدأ يقول لهم انه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم » ( لو ٤ : ١٦ ـ ٢١ ) ٠

وفي حدث الميلاد المقدس أعلنت وظائفه الالهية بهدايا

المجوس حكماء المشرق الذين أتى بهم النجم العجيب من بلادهم البعيدة الى بيت لحم أفراثا فسجدوا للمولود الالهي وقدموا له هداياهم ذهباً ، ولبانا ، ومراً · معترفين به ملكاً والهاً ومتنبئين عن موته الكفاري ، حيث انهم اعتادوا أن يقدموا الذهب لملوكهم ، واللبان لآلهتهم ، والمرّ لتحنيط موتاهم · فالاله الذي أرسل اليهم النجم العجيب ليقودهم الى بيت لحم ، هو الاله الذي ألهمهم أن « المولود » هو الاله الحق فسجدوا له واعترفوا بلاهوته بتقديم اللبان · ولا غرو فالملاك يدعوه مخلصاً ومسيحياً ورباً فهو رب بل هو الرب الاله ، وهكذا دعاه كبير الملائكة جبرائيل لما بشر العذراء بالحبل به قائلاً : « وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى » ( لو ١ : ٣١ ـ ٣٢ ) ·

أجل لقد اشتركت في ظهور المولود الالهي السماء والأرض فهو من الروح القدس والعذراء مريم معاً · وبتجسيده العجيب اتحد وهو الاله الحق بطبيعتنا الانسانية وكياننا البشري اتحاداً يفوق ادراكنا ، وقد جبل له من دماء العذراء جسداً كاملاً فهو اله كامل وانسان كامل بآن واحد ، ولاتحاد اللاهوت بالنوسوت اتحاداً جوهرياً بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تبلبل ولا انفصال ، نؤمن بأنه أقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة · وكما عبر الرسول بولس عن ذلك بقوله : « وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » ( ١ تي ٣ : ١٦ ) ·

فما أسعد الرعاة البسطاء يبشرون بميلاده ! وما أعظم النعمة التي أسبغت عليهم بسماع نشيد الملائكة · طوباهم فقد آمنوا وصدّقوا ما قيل لهم عن المولود وقاموا مسرعين وأتوا الى مغارة بيت لحم ووجدوا الطفل مقمطاً مضجعاً في مذود ،

طبقا للعلامة التي منحهم اياها الملاك ، وامتلأوا فرحا روحيا وسجدوا للطفل المولود وقدموا هداياهم « زبداً وعسلاً » اتماماً لنبوة أشعيا القائل : « ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل زبداً وعسلاً يأكل » (اش ٧ : ١٤ و ١٥) وأخبر الرعاة العذراء مريم والصدّيق يوسف وغيرهما ممن صادفوه بخبر ما حدث لهم في ذلك الليل في البرية « وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة » ٠

فلنفرحن بميلاد الفادي ، أيها الأحباء ، في هذا اليوم المبارك وفي كل يوم ٠ ولا ندع العالم ومغرياته ومنغصاته تشغلنا عن الفرح الروحي بالمسيح يسوع ربنا ٠ ففي وسط العاصفة ... وحتى عندما يهيج البحر الخضم ، فتتقاذف أمواجه الصاخبة سفينة حياتنا الغالية تريد تحطيمها ، لا يمكن أن يغادر السلام نفوسنا ، والبهجة قلوبنا ما دام الهنا معنا وهو المخلص المسيح الرب ٠ فقد وعد قائلاً : « طوبى لكم اذا عيروكم واضطهدوكم وقالوا عنكم كل كلمة سوء من أجلي كاذبين افرحوا وابتهجوا فان أجركم عظيم في السماوات » ( مت ٥ : ١٠ ـ ١٢ ) ٠

أجل ان المسيح في ميلاده بعث البهجة في قلوبنا والسلام في نفوسنا ، فعلينا أن نفعل نحن أيضاً ذلك باخوتنا بني البشر، فنعزي الحزانى ، ونفرّج عن المكروبين ونجبر القلوب المنكسرة ، ونحوّل عوز الفقراء والمساكين وفاقتهم الى اكتفاء بالعطاء السخي ٠ ليكون للمسيح موضع في منازلنا ، وليحل في قلوبنا ، فنقبله مخلصاً لنا عاماً وشخصياً ومسيحاً ، ورباً ٠

ليكن عيد الميلاد هذا عيداً مباركاً عليكم أيها الأحباء ، ولينشر الله تعالى أمنه وسلامه في العالم أجمع لتمتلىء قلوب البشر فرحاً روحياً وسلاماً ٠

# نور للسالكين في الظلام
## من مواعظ الميلاد المقدس*

(أ)

« الشَّعبُ السَّالكُ في الظُّلمة أبصر نوراً عظيماً ، الجالسون في أرض ظِلالِ الموت أشرقَ عليهم نورٌ ... لأنه يُولدُ لنا ولدٌ ونُعطى ابناً وتكون الرئاسةُ على كتفه ويُدعى اسمُه عجيباً مُشيراً الهاً قديراً أباً أبدياً رئيسَ السَّلام » . ( اش ٩ : ٢ و ٦ )

قبل مولد السيد المسيح بسبعمائة عام ، أعلن النبي أشعيا نبوته هذه الصادقة عن ميلاد الفادي ، بعد أن رسم الصورة الحقيقية للعالم الشرير الذي عاش قبل الميلاد متخبطا خبط عشواء في ظلمة الجهل والخطية ، ولم تجده النواميس نفعاً ، حتى أشرق عليه المسيح شمس البر والشفاء بأجنحته فبدد الظلام ، وغمر ضياؤه قلوب البشر فأمات فيها اليأس والقنوط، وأحيا فيها الرجاء والأمل . وسمعناه ينادي قائلاً : « أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة ، بل يكون له نور الحياة » (يو ٨: ١٢) فلا غرو اذا كان ميلاده ميلاد النور والحياة. ميلاد المحبة والرحمة ، ميلاد الحق والعدالة ، ميلاد التواضع

---

* الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر اذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨٢/١٢/٢٥ ونشرت في المجلة البطريركية العدد ٢١ لشهر كانون الثاني ١٩٨٣ .

والوداعة ، ميلاد الحضارة والمدنية ، فقد حطم قيود العنصرية البغيضة ، والطبقية الشنيعة ، وساوى بين الغني والفقير ، والكبير والصغير ، والعظيم والحقير ، والعبد والحر ، والأنثى والذكر ، وأنقذ البشرية من داء الكبرياء الوبيل ، وأقام من نفسه مثالا يحتذى به في التواضع والوداعة ، ودعا الناس اليه قائلا : تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقيلي الأجمال وأنا أريحكم ٠ احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم ، لأن نيري هين وحملي خفيف ( مت ١١ : ٢٩ و ٣٠ ) ٠

هذا هو ماسيا المنتظر ، الموعود به منذ بدء الخليقة ، « الكلمة الذي كان منذ البدء » ، «الذي صار جسداً وحل فينا»، ليبرر الجنس البشري من الخطية الأبوية ، ويفي عدل الله حقه ، وليوفق بين عدله تعالى ورحمته ، الأمر الذي لم يتمكن الآباء والأنبياء القيام به ، مهما بلغ بعضهم من البر والقداسة ، ومهما قدموا من ذبائح وقرابين « اذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح » ( رو ٣ : ٢٣ و ٢٤ ) وهكذا حصل لنا على البركات الالهية السامية ورفعنا الى رتبة البنين فصرنا بالنعمة أولاداً لأبيه السماوي ، كما صار هو ابناً للبشر ، وهو ابن الله الوحيد ، ونسل المرأة التي ولدته العذراء مريم بوساطة الروح القدس ، فتمت بذلك نبوة أشعيا القائل « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ، ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » ( اش ٧ : ١٤ ) الذي تفسيره الله معنا ( مت ١ : ٢٣ ) ٠

أجل ، لقد ظهر الله في القديم لأبينا ابراهيم في شكل ثلاثة رجال ، ولأبينا يعقوب في شكل ملاك ، وللنبي موسى في العليقة

الملتهبة غير المحترقة ، وفي عمود من سحاب وعمود من نار ، وقد كلم الله الآباء والأنبياء بطرق عديدة ( عب ١ : ١ و ٢ ) ولكن « لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني » ( غل ٤ : ٤ ) « فأخلى نفسه آخذاً صورة عبد ، صائراً في شبه الناس » ( في ٢ : ٥ و ٦ ) ٠

واليوم ونحن نحتفل بعيد ميلاد الفادي لننتقلن بأفكارنا الى بيت لحم أفراثا حيث ولد ماسيا قبل عشرين قرناً ، ولنتأملن ما جرى هناك من حوادث عجيبة ، فنرى أمامنا العذراء مريم تسير الهوينا وهي تدخل قرية بيت لحم أفراثا قادمة من الناصرة برفقة خطيبها يوسف ليسجلا اسميهما في سجلات المملكة بحسب أمر قيصر لأنهما كانا من نسل داود وعشيرته ، وبذلك يعلماننا الخضوع للسلطة المدنية « لأنه ليس سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله » ( رو ١٣ : ١ ) ونرى العذراء مريم ويوسف البار يقرعان أبواب دور بيت لحم وتوصد الأبواب بوجهيهما ، وقد هدّ عناء السفر حيلهما ٠ فيلتجئان الى مغارة كانت تستعمل كاصطبل للمواشي ، هناك ولدت مريم ابنها القدوس وأضجعته في مذود٠

يا للعجب ! ان الاله خالق الكون ومبدعه اومدبره ، ملك الملوك ورب الأرباب الغني الذي يملك السماء والأرض يولد فقيراً في مغارة بسيطة لا في قصر منيف . وفي قرية بيت لحم الآمنة الوادعة ، لا في احدى عواصم الدنيا ٠ ولكنه بولادته رفع مكانة بيت لحم وجعلها محجاً للأمم يقصدها ملوك الأرض ورؤساؤها ، ليحنوا الهامات أمام مغارتها ويعفروا الجباه أمام المذود الذي اضطجع فيه الطفل الالهي ٠

عجبي كم غني بات في ليلة الميلاد في مدن العالم الكبرى وحتى في بيت لحم البلدة الصغيرة في فراش ناعم دافىء ، وهذا الطفل الالهي الوديع يرقد بهدوء في مذود بسيط في مغارة صغيرة يقاسي آلام البرد وخشونة التبن والقش ؟!٠

كم طفل يولد في أيامنا هذه في العراء ، فقيراً مدقعاً ، تضمه أمه الى صدرها الحنون محاولة منحه الدفء والطمأنينة . وهي بأمس الحاجة الى ما يسد رمقها من بسيط الغذاء ٠ هذا الطفل هو أخ للطفل يسوع وأمه أخت للعذراء مريم . بغض النظر عن انتمائها العرقي والقومي والديني ، والعناية بهما تعتبر كالعناية بيسوع وأمه مريم . وقرضا للآب السماوي يفيه يوم الدين ، فطوبى لمن يكنز له كنوزاً في السماء ٠٠٠ وليت الأغنياء الميسورين يعيرون آذاناً صاغية الى بكاء الأطفال المساكين المدقعين ، فيرصدون جزءاً من المال ولو يسيراً ينفقونه لسد حاجة هؤلاء الفقراء الذين يعضّهم الجوع بأنيابه الحادة ، أجل ، ليت الأغنياء يخصصون شيئاً زهيداً مما ينفقونه بتبذير وترف على احياء سهراتهم الصاخبة ولياليهم الحمراء في ذكرى الميلاد المقدس ، وصاحب الذكرى المسيح براء" منهم ومن حفلاتهم . فالمسيح يريدنا أن نحتفل بذكرى ميلاده باكساء العراة ، واشباع الجياع ، وايواء الغرباء ، والا فسوف يسمعنا يوم الدين صوته المرعب القائل للذين عن يساره : « اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته ، لأني جُعت فلم تُطعموني ، عطشت فلم تُسقوني ، كنت غريبا فلم تأووني ، عُرياناً فلم تكسوني ، مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني ٠٠٠ الحق أقول لكم ، بما أنكم لم تفعلوا ذلك بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا » (مت ٢٥ : ٤١ ـ ٤٦) ٠ طوبى لمن لهم آذان صاغية ليسمعوا ، ولهم عيون ناظرة ليروا ويعوا ٠

أجل ولد المسيح فقيراً متواضعا ليعلمنا التجرد والتواضع ومحبة الفقراء والمساكين ومتواضعي القلب ، واذا كان أهل الأرض قد تجاهلوه فان « السموات تحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » ( مز ١٩ : ١ ) فقد أرسلت السماء ملاكاً يزف بشرى ميلاد المخلص الى رعاة بسطاء متواضعين آمنوا وأطاعوا وزاروا الملك المولود وسجدوا له ، وعادوا وأخبروا بما رأوا وسمعوا . بل استحقوا أن يسمعوا أجمل أنشودة وقّعتها الملائكة على قيثارة الروح ألا وهي « المجد لله في الأعالي وعلى ارض السلام وبالناس المسرة » ( لو ٢ : ١٤ ) .

كما أعلنت السماء هذه البشرى السارة لحكماء المشرق ورؤسائه بظهور نجم غريب الشكل قادهم الى بيت لحم أفراثا فسجدوا للطفل المولود مقدمين له هداياهم ذهباً ولباناً ومراً ، وبذلك أعلن الرب يسوع وهو طفل أنه لم يأت الى العالم لأجل شعب خاص ، أو أمة واحدة ، انما هو للعالم قاطبةً ، وللمسكونة وشعوبها كافةً ، هو للرعاة البسطاء والمجوس الأغنياء الحكماء ، وهو لا يزال في المذود وفي المغارة لا حاجب يمنع الناس من الدنو منه ، ولا حاجز يصد انساناً عن الاقتراب اليه . قال أشعيا النبي : « يولد لنا ولد ونُعطى ابناً » فقد ولد لنا ، وأعطي لنا جميعاً وهو يسوع مخلصنا ، وعمانوئيل « الله معنا » وهو الآن مستعدّ أن يتخذ له مذوداً في قلوبنا ليحيا فيها . فهل نحن على استعداد لاستقباله ؟ أم ان قلوبنا مكتظة بالآمال والأماني الدنيوية ، وبأشياء وأشخاص بعيدين عن المولود ، فنرفضه كما رفضه أهل بيت لحم ، فلم يكن لوالدته وخطيبها موضع في المنزل ، بل لم يكن له أيضا وهو طفل منزل في الموضع .

ان الملاك لا يزال يبشرنا ، أن قد ولد لنا ولد" في مدينة داود ، فهل آمنا ببشارة الملاك ، وأطعنا الرب كالرعاة ، وأتينا وسجدنا له ؟ • والنجم يهدينا اليه فهل اقتدينا بالمجوس وسجدنا للمولود وقدمنا له هدايانا ايماناً متيناً ثخيناً ، وأعمالاً صالحة وفضائل سامية ؟ •

لقد أنشدت الملائكة نشيد المجد والسلام والمسرة ، فهل شاركنا جند السماء بتمجيد الله بأفواهنا وقلوبنا وعقولنا • ليرى الناس ذلك ويمجدوا الآب السماوي ؟ • وهل مجدنا رب السماء الذي دعانا الى السلام (١ كو ٧ : ١٥) و (عب ١٢ :١٤) وقال : « طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون » ( مت ٥ : ٩ ) فهل نحن بسلام مع الله ومع النفس ومع الناس ؟! ••

لقد بدأ الرب تدبيره الالهي على الأرض بأنشودة السلام الخالدة ، وقبل أن يعود الى السماء بالجسد الذي أخذه من مريم العذراء ، بارك تلاميذه قائلاً لهم : « سلام لكم » ( لو ٢٤ : ٣٦ ) •

ففي هذا اليوم المقدس نسأله تعالى أن يفعم قلوبكم بسلامه الالهي • وأن ينشر أمنه وسلامه في أقطار المسكونة ، وأن يعيد عيده عليكم باليمن والبركة لتسيروا بنور المسيح نور العالم ورئيس السلام ، ونعمته تشملكم دائماً أبداً آمين •

# الأسـرة المثـالية في المسـيح
# من مواعـظ الميـلاد المقـدس*

## (٤)

« فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود اذ لم يكن لهما موضع" في المنزل » ٠ ( لو ٢ : ٧ )

بعبارات سهلةِ الفهم ، بسيطةِ المبنى وساميةِ المعنى ، سجَّل البشيرُ لوقا في الانجيل المقدس ، وقائعَ أعظمِ حَدَثٍ عرفته البشرية ، ألا وهو ميلادُ السيد المسيح له المجد ٠

انه الحَدَثُ الفريدُ من نوعه، فلم يسبقه مثيل ويستحيل أن يعقبه شبيه أو نظير ، ذلك أن الرب يسوع ، الاله المتجسد ، قد ولد من عذراء لم يعرفها رجل ، فكان ميلاده أعجوبة باهرة تنبأ عنه النبي أشـعيا في القرن الثامن قبـل الميلاد قائـلا : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنـاً وتدعو اسمه عمانوئيـل » ( اش ٧ : ١٤ ) فعمانوئيـل الذي تفسيره الله معنا ، هو معجزة المعجزات في شخصيته القوية الفذة والجامعة المانعة فهو الكشف الالهي في الانسان، واتحاد اللاهوت بالناسوت ، الأمـر الذي يشـرحه الرسول بولس بقـوله :

---

★ الموعظة التى ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر اذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨٣/١٢/٢٥ ٠ نشرت أولا في المجلة البطريركية ـ دمشق العدد ٣١ السنة ٢٢ كانون الثاني ١٩٨٤ ٠

« وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » ( ١ تي ٣ : ٩ ) ٠

فلا غرو اذا صار ميلاده يوم الختام لما كان قبله من تاريخ ويوم البدء لعهد جديد ، اذ حول المولود مجرى التاريخ ، وأضحى مصدره ، ومركزه ، ومحور دائرته ٠ فما مضى منه كان مشيراً اليه ، ومنتظراً مجيئه ، وما لحق به ، أثبت حقيقته واستمد منه قوته ٠ لأن مولود بيت لحم قد جلس على عرش العظمة في السماء ، وتبوأ قلوب الملايين على الأرض ، أولئك الذين صار لهم الطريق ، والحق ، والحياة ٠ كما غدت تعاليمه لهم دستوراً وانجيلا ، وأصبح انجيله نوراً للعالم وهدى للناس ، وفي ضوء موعظته على الجبل عرف الانسان الخير من الشر والصلاح من الطلاح ٠

يقول البشير لوقا : « وفي تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة ٠٠٠ فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى ٠ وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود اذ لم يكن لهما موضع في المنزل » ( لو ٢ : ١ ـ ٧ ) ٠

قضى الله منذ القديم بأن يولد المسيح في بيت لحم ، وأعلن ذلك على لسان النبي ميخا في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد ، كما أوضح أن مولود بيت لحم أزلي ، بقوله : « ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » ( ميخا ٥ : ٢ ) ٠

وبيت لحم كلمة سريانية معناها : بيت الخبز وموضعه . وشاء الله تعالى أن يولد فيها المسيح الذي هو خبز الحياة وقد قال عن نفسه « أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد » ( يو ٦ : ٥١ ) .

وقد حول الطفل الالهي مغارة بيت لحم الى سماء ثانية جاعلا من المذود عرشاً الهياً استوى عليه له المجد . وكانت أمه العذراء مريم الطاهرة النقية وخطيبها البار يوسف النجار يحيطان به فألّفوا جميعاً الأسرة المثالية التي كانت وما تزال موضع أمل الآباء والأنبياء والفلاسفة والمصلحين في كل جيل . فاذ لم يكن لهما موضع في المنزل اعتُبرت المغارة البسيطة ، بوجود ، الطفل المولود ، أجمل منزل في الكون وأفضله وأقدسه .

تألفت الأسرة البشرية الأولى من رجل وامرأة ، اعتبرا جسداً واحداً ، لمّا كانا في حالة البر والقداسة . ولكنهما انقسما على ذاتهما بعدما ساورتهما الكبرياء ، وهيمنت عليهما الأثرة والأنانية ، فتقوّضت أركان الأسرة اذ دخلت الشكوك البيت وخرجت منه المحبة . وابتدأ الرجل والمرأة يلصق أحدهما بالآخر التهم اللاذعة . وهكذا انقسم البيت على ذاته ، « وان انقسم بيت على ذاته لا يقدِر ذلك البيت أن يثبُت » ( مر ٣ : ٢٥ ) .

وانتقل داء الكبرياء من الآباء الى الأبناء في أرض الشقاء . بل تطورّ وتقوّى واستفحل ، فحسد قايين أخاه هابيل وقتله . وتفككت أوصال الأسرة البشرية . وعبر الدهور والأجيال لم تُقم الأسرة وزناً للفضيلة ، وتمرّغ أفرادها بالشهوات ، وغدا الانسان بهيمياً اذ داس ناموس الضمير ولم

يعمل بوصايا الرب ولم يسمع للآباء الأبرار والأنبياء الصادقين وصمّ أذنيه عن سماع صوت السماء ...

ولما جاء ملء الزمان كملت معصية الانسان ، وطفح كيل الآثام وبقدر تراكم الخطايا ، كان الأمل يتقوّى . والرجاء يتعزز بقرب خلاص الرب ، فقد شاع شعور جارف بل اعتقاد متين قوي ، ان المخلص العظيم سيظهر قريباً ينقذ شعبه من أعدائهم ، وتكمل فيه نبوات الأنبياء ، فلم يلبث الحلم أن تحقق بميلاد المسيح المنتظر ، وكان ميلاده ميلاد الأسرة المثالية .

تألّفت هذه الأسرة المقدسة من ثلاثة أشخاص هم يسوع المسيح وهو طفل ملفوف ، مقمط ، ومضجع في مذود ، وأمه العذراء مريم ، وخطيبها يوسف النجار . وخيَّم على هذه الأسرة جوٌ من المحبة النقيّة الصافية ، واتصف الزوجان بالتضحية ونكران الذات ، والاخلاص المتبادل ، واجتمعا حول الطفل الالهي الذي أحبَّاه أكثر من نفسيهما ، وصارا بذلك مثالا للأسرة المثالية المباركة التي يجتمع أفرادها حول الرب يسوع فتغمرهم السعادة الروحية الحقيقية . فأسباب السعادة الحقة لا تأتي عن طريق المال ، والجاه ، بل بالطُهر والنقاء والعفة والصفاء ، الفضائل التي تجعل من أفراد الأسرة قيثارات روحية توقع الترانيم السماوية لتمجيد الله بالايمان والأعمال الصالحة .

هكذا تعاون يوسفُ ومريم على تربية الرب يسوع ، وتحمّلا المشقات في سبيل حمايته وهو طفل وانقاذه من عدوّه الألد هيرودس ، وكان الرب يسوع يحبهما ويكرّمهما ، ويقول الانجيل المقدس بهذا الصدد : « وكان خاضعاً لهما ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها ، وأما يسوع فكان يتقدّم

في الحكمة ، والقامة ، والنعمة عند الله والناس » ( لو ٢ : ٥١ و ٥٢ ) • وقد أحب يسوع يوسف البار وكرّمه كأب له، ويقول التقليد الكنسي ان يوسف مات في أحضان يسوع ، فصار موت يوسف مثالا للميتة الصالحة • وقد اعتنى يسوع بأمه وكرّمها، ولم ينسها حتى وهو على الصليب يتألم ، اذ سلَّمها الى تلميذه الحبيب يوحنا قائلا : « أيها التلميذ هـذه أمُّك » ( يو ١٩ : ٢٦ و ٢٧ ) فصار بذلك مثالا لنا في اكرام الوالدين الأمر الذي يعتبر مهمَّاً جداً لثبات أركان الأسرة الصالحة •

جاء يسوع الى أرضنا هذه ، فأعاد الى الأسرة كرامتها ، وقداستها وبرّها ، المزايا التي فقدتها بالخطية • وقدّس الرب الزواج اذ حضر عرساً في قانا الجليل • وبتعاليمه أكد على قدسية الرباط الزوجي بين المرأة والرجل ، وقد ساوى بينهما بقوله : « من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم زوجته ويكون الاثنان جسداً واحداً • اذن ، ليسا بعد اثنين بل جسد واحد » ( مت ١٩ : ٥ و ٦ ) والجسد هنا يعني الانسان بأكمله • وهذه هي الوحدة المثالية للزواج الصالح الناجح والتي يشبِّهها الرسول بولس باتحاد المسيح بالكنيسة حيث يقول : « أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة ••• أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ••• » ـ ويتابع الرسول بولس تعليمه هذا قائلا : « من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً • هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » ( أف ٥ : ٢٢ ـ ٣٣ ) •

فالزواج الشرعي الذي يقدسه الله بوساطة كنيسته ،

يعتبر سراً مقدساً ، وهو ثابت لا ينحل الا بالموت الطبيعي أو الموت الأدبي لأحد الزوجين أو لكليهما ٠

وقد أعطى الرب الحقوق الكاملة للزوجين ، اذ ساوى بين المرأة والرجل ٠ فقبل الميلاد كانت المرأة محتقرة مرذولة مهضومة الحقوق، يظهر ذلك جلياً من تعاليم آباء اليهود القائلة: « ان القاء نصوص الناموس في النار أفضل من ايصالها الى النساء » كما أن اليهودي المتدين يصلي صباح مساء شاكراً ربه لأنه لم يخلقه بهيمة ولا امرأة ٠ أما الوثني فقد اعتبر المرأة سلعة تُباع وتُشرى ٠ والمرأة أمَة" لأبيها ثم لزوجها ثم لابنها ٠

فجاء الرب يسوع ورفع المرأة الى المكان الذي تستحقه باعتبارها مساوية للرجل ، وعاملها كما عامل الرجل تماماً ٠ وقد تبعته نسوة كثيرات ، كن يخدمنه وأخلصن له ، ولم تتنكر له واحدة منهن، ولم تنكره احداهن، ووقفن عند صليبه ، وكن آخر من انصرف عنه وأول من ذهب الى قبره ، وأول من شهد بقيامته ٠ أما جهاد المرأة المسيحية عبر التاريخ فواضح وضوح الشمس في رائعة النهار ٠ ولا عجب فالمرأة شريكة الرجل بالنعمة الالهية ، والامتياز الروحي ٠ ولذلك فالرسول بولس يقول : « ليس في المسيح ذكر ولا أنثى » ( غلا ٣ : ٢٨ )٠

ويكفي النساء شرفاً أن تكون العذراء واحدة منهن ، وقد استحقت أن تصير أمّاً لله ٠ وأن تسمع قول الوحي الالهي على لسان اليصابات : « مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك ٠ فمن أين لي هذا أن تأتي أمُّ ربي اليَّ » ( لو ١ : ٤٢ و ٤٣ ) ٠

وقد قدّس الرب يسوع الطفولة ، اذ وُلد طفلا ، وأحب الأطفال الصغار وأحبوه واقتربوا اليه بثقة ، وكان يباركهم ، ووبخ مرة تلاميذه توبيخا صارما لما ثبطوا عزيمتهم بالدنو اليه • ولما أراد أن يلقي على تلاميذه درساً بالتواضع ، على أثر نقاشهم فيمن عسى أن يكون عظيماً بينهم ، « فدعا يسوع اليه ولداً وأقامه في وسطهم وقال : الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات • ومن قَبِل ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يُعلَّق في عنقه حجرُ الرَحى ويُغرق في لُجَّة البحر » (مت ١٨ : ١ـ٦). فبعد أن كان الطفل محتقراً قبل الميلاد ، رفع الرب يسوع من مكانته ، وجعل له منزلة سامية حتى انه اعتبر الاحسان الى الطفل احساناً الى يسوع نفسه والاساءة الى الطفل اساءة الى يسوع نفسه •

وهكذا نرى الرب يعطي كل ذي حق حقه ، وفي عظته على الجبل يهتم باصلاح الفرد لتصلح الجماعة ، فيريد أن يكون كل من أتباعه ملحاً للأرض ونوراً للعالم •

ورسالة الميلاد اليوم ، رسالة اصلاح للأسرة ، التي هي نواة المجتمع • ورسالة تمجيد لله ، وسلام على الأرض ، ومسرة للناس • وباهتمامنا بتهذيب الأطفال وتربيتهم التربية الصالحة وتنشئتهم على جداول مياه التعاليم السماوية ، والشرائع الالهية هذا الاهتمام هو تمجيد لاسم الرب القدوس ، لأننا بذلك نكون قد هيأنا من الأطفال جيلا يعبد الله بالروح والحق ويمجده تعالى بالأعمال قبل الأقوال • ونكون قد لبينا نداء الرب يسوع ، وقدمنا اليه الأولاد فهو ما يزال ينادينا قائلا :

« دعوا الأولاد يأتون الي ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله » ( مر ١٠ : ١٤ ) ٠

وما لا يختلف فيه اثنان ، أن الأسرة هي المدرسة التي يتخرج فيها قادة العالم السياسيون والاجتماعيون والروحيون، فاذا نشأ هؤلاء نشأة صالحة صلُح العالم بهم ، وساده السلام ، والا فسيعم الخصام ، وتكثر الحروب ، وتتفاقم النزاعات ، وتتسابق الشعوب الى التسلح ، وتتهيأ لتدمير العالم ، وابادة الأرض ومن عليها ٠ فايجاد الأسرة الصالحة اذن ضروري لاصلاح المجتمع ٠

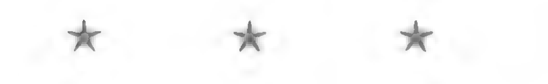
والمحبة العائلية هي أساس الأسرة الصالحة، ذلك أن الفرد الذي لا يحب أفراد أسرته لا يحب وطنه ولا المواطنين ، فالمحبة داخل البيت ضرورية لتوفير المحبة خارجه ، وكيف يحب الانسان الناس الغرباء ما لم يختبر المحبة المتبادلة بين أفراد أسرته وفي أرجاء بيته ؟!

لقد فسدت الأسرة وتفسخ المجتمع قبل الميلاد ٠ وجاء السيد المسيح فأعطى بميلاده مثالا للأسرة الصالحة ٠ وعلينا اليوم أن نسأل أنفسنا : أين هي الأسرة الصالحة ؟! مامدى اهتمام الآباء والأمهات بالأمور الروحية ؟ هل يسعون الى تربية أولادهم وتهذيبهم لينموا كيسوع في الحكمة والقامة والنعمة لدى الله والناس ؟ أم قد اقتصروا على الاهتمام بأمور الجسد فقط ؟ هل يسعى الآباء والأمهات الى توجيه أولادهم توجيهاً صحيحاً بالمثال والعمل قبل القول ليؤمنوا بالله ويتكلوا عليه تعالى ويخشوه ؟ أم أنهم منهمكون في جمع المال والتمرغ بالشهوات وقد تركوا أولادهم للشارع الفاسد ، ولرفقة السوء فتنتقل اليهم عدوى الخطية والعادات الرديئة وكما قال الكتاب المقدس : « المعاشرة الرديئة تفسد الضمائر الصالحة » ٠

انه ليوم مقبول ، انها لساعة خلاص ، فلنستيقظ من النوم ولنتقدم الى الطفل المولود ، الذي لم يكن له موضع في المنزل ، لنرى هل له موضع في منازلنا يسكنه ؟! انها لفرصة سانحة أن نهيىء هذه المنازل لتكون سكناً له · بل أن نُعد قلوبنا ونفوسنا ليملك عليها ·

لقد جاء السيد المسيح لخلاص العالم ، ولم يقبله اليهود ، اذ لم يطيعوا الأنبياء الذين أعلنوا موعد مجيئه ، ومكان ميلاده· ولم يعرف اليهود زمن افتقادهم ، فخسروا بذلك خلاص نفوسهم · « أما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه » ( يو ١ : ١٢ ) ·

ان الرب يسوع آت ثانية الى العالم بمجد أبيه مع ملائكته القديسين ليُدين الأحياء والأموات ، وقد أعلن ذلك بنفسه · وأمرنا أن نصحو ونسهر ، وننتظر مجيئه · انه آت لا ليسجل اسمه في سجلاتنا البشرية ، بل ليسجل أسماءنا في سجلات ملكوته السماوي · فهل نحن من أبناء الملكوت ؟! وهل نحن مستعدون لاستقباله ؟ هل نحن مشتاقون اليه ؟ اذن لنطلب اليه مع الرائي يوحنا قائلين « آمين تعال أيها الرب يسوع » أعاد الله عيده عليكم باليمن والبركة وكل عام وأنتم بخير ·



# يــوم الظفــــر

## من مواعــظ القيــامــة المجيــدة*

## (١)

**« هذا هُوَ اليومُ الذي صنَعَهُ الربُّ • نبتهج ونفرحُ فيه »**

( مز ١١٨ : ٢٤ ) •

انه يوم النصر والغلبة ، يوم الخلاص والفداء • اليوم الذي تمّ فيه الصلـح بين الأرض والسـماء، ونقض سياج العـداوة •

يومٌ انبلج فيه شمس البر ممجداً وأنـار الجالسـين في ظلال الموت ، وأُذيعت فيـه بشرى قيامـة الفادي مـن بين الأموات ، وصارت هذه القيامة أساساً متيناً للدين المسيحـي المبين • فحق للرسول بولس أن يقول :

« وانْ لم يكن المسيح قد قام فباطلةٌ كرازتنـا وباطلٌ أيضا ايمانكم » ( ٢ كو ١٥ : ١٤ ) • فعلى أسَاس عقيدة قيامة المسيح قامت الكنيسة المقدسة • لذلك فأبواب الجحيم لن تقوى عليها • ولو استطاع القبر أن يضم جسد يسوع المصلوب الى الأبد ، لدفنت معه المسيحية ، ووئدت في مهدهـا ، وانتهت في بدئها وصارت أثراً بعد عين ، **ولكن المسيح لم ينزل الى القبر**

---

*الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المقدس المنقول عبر اذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨١/٤/٢٦ ونشرت في المجلة البطريركية العدد ٦ لشهر حزيران ١٩٨١ •

**ليمكث فيه الى الابد بل ليدفن الموت، ويدك أركان الهاوية ويقوم في اليوم الثالث ظافراً بالخطيئة منتصراً على ابليس، منادياً: «أين شوكتُك يا موت أين غلبتك يا هاوية» ( ١ كو ١٥ : ٥٥ ) .**
وقيامة المسيح التي جاءت بعد موته على الصليب ودفنه في القبر الجديد ، جعلت الكنيسة تفتخر بصليب الرب وموته ، فيقول مار اسحق السرياني : « من دواعي فخر الكنيسة ان الله مات على الصليب » ويقول الرسول بولس : « وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخرَ الاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم » ( غلا ٦ : ١٤ ) . فلو لم يكن المسيح قد قام من بين الأموات لشابه الآباء والأنبياء والأبرار والأتقياء الذين احتملوا المشقات في سبيل تبليغ رسالة الله للبشر وماتوا كسائر الناس ، ولكن الرب يسوع المسيح لم يكن انسانا بسيطا بل هو الاله المتجسد ، احتمل آلامه المحيية اراديا **وكان موته على الصليب ضرورياً لفداء البشرية ، كما كانت قيامته من بين الأموات ضرورية لاثبات صدق رسالته الالهية وصحة أقواله السامية وعجائبه الباهرة ، واتمام نبواته الصادقة وبالتالي لاقامة الدليل القاطع على قبول الآب السماوي ذبيحة الصليب فداء للبشرية .**

فقد قال السيد المسيح عن نفسه : « أنا هو القيامة والحياة مَن آمن بي ولو مات فسيحيا » ( يو ١١ : ٢٥ ) « أنا هو الطريق والحق والحياة » ( يو ١٤ : ٦ ) ( الذي رآني فقد رأى الآب ( يو ١٤ : ٩ ) وقد أعلن نفسه أنه ماسيا المنتظر ، فهو ابن الله بشهادة السماء ، وهو المخلص الذي أرسله الآب الى العالم . « وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفَع ابن الانسان لكي لا يهلك كلُ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية . لأنه هكذا أحبَّ الله حتى بذل ابنه

الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » ( يو ٣ : ١٤ ـ ١٧ ) · **فلو لم يقم من بين الأموات لكانت أقواله الالهية هذه باطلة والعياذ بالله ·**

وكان لا بد من أن يقوم من بين الأموات **لتكون قيامته علامة واضحة على قبوله الاله الآب عمل الكفارة الذي أتمه على الصليب** ، فكما هبطت النار من السماء في العهد القديم والتهمت الذبائح التي قدّمها بعض الآباء الأبرار دلالة على قبول الله اياها ، هكذا أعلن الله الآب قبوله ذبيحة الصليب باقامة ابنه الحبيب من بين الأموات ·

**وكان السيد المسيح قد سبق فانبأ تلاميذه وحتى أعداءه عن موته وقيامته ،** فعلى أثر تطهيره الهيكل من الصيارفة وباعة الحمام ، قال له اليهود أية آية تُرينا حتى تفعل هذا ؟ أجاب يسوع وقال لهم « أنقضوا هذا الهيكلَ وفي ثلاثة أيام أقيمهُ .. فكان يقول عن هيكل جسده ، فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع » ( يو ٢ : ١٨ ـ ٢٢ ) · أما أعداؤه فحنقوا عليه وعيّروه وهو على الصليب ، فكانوا « يجدفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم قائلين آه يا ناقضَ الهيكل وبانيَه في ثلاثة أيام خلّص نفسك وانزل عن الصليب » ( مت ٢٧ : ٤٠ ومر ١٥ : ٢٩ و ٣٠ )·

كما سمعنا الرب يوبخهم مرة بقوله : « جيل شرير وفاسق يطلب آيةً ولا تُعطى له آية الا آيةَ يونانَ النبي : لأنه كما كان يُونانُ في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكونُ ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاثَ ليالٍ » ( مت ١٢ : ٣٩ و ٤٠ ) فيونان كان رمزاً للسيد المسيح ، وقد

آمن أهل نينوى بكرازتــه وتابوا ، ولكن الصالبين لقســاوة قلوبهم لم يؤمنوا بالآية العظيمة التي أعلنت لهم ألا وهي قيامة الرب العجيبة التي تقيم الدليل على صحة رسالته الخلاصية ولذلك فالرب يوبخهم بقوله : « رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يُونان وهوذا أعظم من يونان ههنا » ( مت ١٢ : ٤١ ) ٠

وقد تجلى الرب يسوع مظهراً مجده الالهي أمام ثلاثــة من تلاميــذه وبينمــا هم نازلون من الجبــل أوصاهم قائــلا لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأموات » ( مت ١٧ : ٩ ) ٠ كما عين لرسله الجليل مكاناً للقائه بهم بعد قيامته ( مت ٢٦ : ٣٢ ) وبعد أن كان قــد أنبأهم عن آلامــه وموته وقيامته ٠

**ونرى سر قيامته وضرورتها أيضــاً في مجريات حياتــه العجيبة على الأرض :** فقد ولد من عذراء ، وعاش بطهر ونقاء وجال يصنع في الأرض خيراً ، ويعلم الناس طريق السماء ٠ واجترح المعجزات الباهرة حتى انه انتشــل من المــوت ابنة يايرس ، والشاب ابن أرملة نايين . ولعازر بعد موته ودفنــه بأربعة أيام ، فهل يمكن أن يكون الموت نهاية حياة شخص مثلــه ؟ وهل يقوى القبر على أن يضمه الى الأبد ؟ ٠ كلا وألف كلاَ ٠ « لقد كنت ميتاً وها أنا حي الى دهر الدهور » ( رؤ ١ : ١٨ ) ويقول صاحب المزامير : « لأنــّكَ لن تتركَ نفسي في الهاوية لن تدَعَ تـَقيـَّك يرى فساداً » ( مز ١٦ : ١٠ وأع ٢ : ٢٧ ) ٠

فالقدوس البار الذي لم يعرف خطية وقد صار خطيــة لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه ( ٢ كو ٥ : ٢١ ) هو حمــل الله الرافع خطايا العالم قد علق على الخشبة وعلق معه خطايانا ،

ودفن في القبر ودفن معه معاصينا ، وقام في اليوم الثالث من بين الأموات وأقامنا معه ، ومنحنا نعمة التبرير والتقديس والتبني • فهذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه•

أجل قام الرب من بين الأموات وخرج من القبر والحجر الكبير الذي كان موضوعاً على باب القبر لا يزال في مكانه • وأختام المملكة لم تثلم فكانت قيامته العجيبة من القبر العذراوي الجديد تماماً كولادته العجيبة من العذراء مريم وبعد أن قام واذا زلزال شديد" قد حدث لأن ملاك الرب نزل من السماء وأتى ودحرج الحجر وجلس عليه وكان منظره كالبرق وثوبه أبيض كالثلج فارتعد الحراس خوفاً وصاروا كالأموات ( مت ٢٨ : ١ ـ ٥ ) كان ذلك في فجر يوم الأحد باكراً جداً • ثم جاءت النسوة ليعطرن الجسد بحسب العادة المتبعة يومذاك فوجدن الحجر الكبير قد دحرج عن باب القبر ••• وسمعن الملاك يبشرهن بقيامة الفادي قائلاً : « انكن تطلبن يسوع الناصري الذي صلب ، انه قام ، ليس هو ههنا فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل فترونه هناك كما قال لكم » ( مت ٢٨ : ٧ ) ويأتي بطرس ويوحنا فيجدان القبر الفارغ ••• وداخله الأكفان المرتبة بانتظام ، والمنديل الذي كان على رأسه غير مطروح معها مَطوياً وحدَه في موضع آخر دلالة على التأني والهدوء وعدم العجلة أو الاسراع للخوف من الأعداء •

**ثم ظهر يسوع القائم من بين الأموات** • ظهر لمريم المجدلية •• ودعاها باسمها فعرفته ، وقالت له ( ربوني ) أي يا معلم • وظهر لجماعة من النسوة عند القبر أيضاً ، وظهر لتلميذي عماوس ، وللتلاميذ في العلية والأبواب مغلقة ولم يكن

توما معهم ، وظهر لهم مرة أخرى وتوما معهم ، وقال لتوما هات اصبعكَ الى هنا وأبصر يديَّ وهاتِ يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً · أجاب توما وقال له « ربي والهي » ( يو ٢٠ : ٢٦ ـ ٢٩ ) أجل لقد مهّدت لنا شكوك توما الطريق الى الايمان فهذا هو المسيح الذي مات على الصليب قد قام من بين الأموات ، هو عينُهُ ·· رأى التلاميذ جراح الصليب ثابتة ظاهرة في يديه وجنبه ·· انها الجراح الخالدة التي تؤكد أنه هو عينُهُ ابن الله وابن الانسان الاله المتجسد · الذي بارادته بذل نفسه لخلاص البشرية ومات على الصليب ودفن وقام في اليوم الثالث منتصراً ··· وظهر مرات عديدة ، في أمكنة عديدة وأزمنة عديدة ·· في طريق جبل الجلجلة ، وفي طريق عمَّاوس وفي العلية وعند بحيرة طبرية وأخيراً على جبل الزيتون ·

ظهر في أزمنة مختلفة ، صباحاً ومساءً ، نهاراً وليلاً ، وفي أيام متفرقة وأيام متتابعة ·

ورآه أشخاص متفاوتو الثقافة والسن رجال ونساء كمريم المجدلية وبطرس ويوحنا وتلميذا عماوس والأحد عشر رسولاً كما ظهر لأكثر من خمسمائة أخ كان أغلبهم لا يزال على قيد الحياة يوم كتب الرسول بولس رسالته الأولى الى أهل كورنثوس ( ١٥ : ٦ ) سنة سبع وخمسين للميلاد · وقد أكل الرب بعد قيامته وشرب أمام تلاميذه وكلمهم محققاً القيامة ، ومثبتا اياهم على الايمان به وأخيراً باركهم على جبل الزيتون بعد أربعين يوماً من قيامته ، وصعد الى السماء · ولكنه وعد أن يكون معهم كل الأيام الى انقضاء الدهر ( مت ٢٨ : ٢٠ ) وحيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فهناك يكون في وسطهم

( مت ١٨ : ٢٠ ) **فهو اذن حيّ الى الأبـد ، وهو في السماء ، وهو على الأرض • وفي كل مكان في آن واحد •• وهو خاصة كنيسته المقدسة التي هي جسده السري وهو رأسها وكنيستـه حيةّ فيه ، وحياتها وثباتها برهان قاطع على صدق قيامته من بين الأموات ،** فهو حي فيها فلا تتزعزع لذلك عندما ظهر لشاول الطرسوسي في طريق دمشق قال له ، لماذا تضطهدني ، معتبراً اضطهاد شاول لأتباع المسيح اضطهاداً للمسيح نفسه • وقـد حوّل الرب شاول الذئب الخاطف الى حمل وديع ، وجعل منه الرسول بولس فيلسوف النصرانية المضطَهد من أجل المسيح • المعلن حقيقة قيامة المسيح • وهكذا جرى للتلاميذ كافة حيث انقلبوا بعد القيامة من أناس متشككين ضعفاء بسـطاء الى رجال مؤمنين أشاوس شجعان حكماء يعترفون بالمسيح ببسالة أمام الملوك والرؤساء والعلماء ويختم أغلبهم شهادتهم بدمائهم الطاهرة النقية الزكية فانتشر الايمان الراسخ بالمسيح الفادي القائم من بين الأموات في فجر يوم الأحد ، **واستبدل التلاميذ السبت اليهودي بالأحد المسيحي** يوم القيامة العظيم يوم النصر والغلبة اليوم الذي صنعه الرب ليبتهج المؤمنون فيه ويفرحوا . لأنه ذكرى الخلاص ، وبدء الرجاء الذي لا يخيب •

أما الصالبون فكان يوم القيامة لهم يوم بؤس وشقاء ، وخزي وعار ، فلما أخبرهم الحراس بحقيقة القيامة زادوا على شرهم شراً وعلى خطيتهم خطايا ، ورشوا الحراس ظناً منهم أن بامكانهم اخفاء نور الشمس في رابعة النهار ، ولو أنهم رجعوا عن غيهم وتابوا الى الرب لقبلهم الرب وغفر خطاياهم • أجل ان يوم القيامة يحمل للمؤمنين في هـذه الحياة رسالة سامية يلخصهـا الرسول بولس بقـوله : « فدُفنا معـه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب هكذا

نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة » ( رو ٦ : ٤ ) « ان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ( كو ٣ : ١ ) ٠

كما أن قيامة الفادي كشفت لنا عن **حقيقة الخلود ويوم القيامة** ، فالراقدون بالرب انما يرقدون على رجاء يقظة أبدية ينالون فيها السعادة الأبدية لأن المسيح قد قام من الأموات وصار باكورة الراقدين ( ١ كو ١٥ : ٢٠ ) وفي اليوم الأخير « تأتي ساعة" فيها يسمع جميع الذين في القبور صوتَه فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » ( يو ٥ : ٢٩ ) ٠

حقاً لقد قام المسيح من بين الأموات « **وأقامنا معه** » ( أف ٢ : ٦ ) ٠ فلنسلك اذن في جدة الحياة ، ونحيا مع المسيح بل يحيا المسيح فينا لننال السعادة الأبدية ، التي اكتسبها لنا بسري التجسد والفداء ٠



# حقيقة القيامة

## من مواعظ القيامة المجيدة*

## (٢)

### « ليس هو ههنا لكنه قام »
### ( لو ٢٤ : ٥ )

أمام القبر الفارغ ، سمعنا السماء تعلن للأرض بشرى قيامة الفادي من بين الأموات ٠

كان ذلك قبل عشرين قرناً ، لما حكم اليهود الظالمون ، والرومان الضالون ، على يسوع الناصري القدوس بالموت صلباً ، وساموه صنوف العذاب من ضرب ، وجلد ، ولطم ، وهزء ، وسُخرية ٠ وأخيراً علقوه على العود خارج المدينة المقدسة ، حيث سلَّم روحه بيد أبيه السماوي ، فانفصلت نفسه عن جسده ، ومات ، حقاً مات ، ودفن في قبر جديد منحوت من صخر ، دحرج على بابه حجر كبير ، ختمه اليهود والرومان بخاتم المملكة ، وأقاموا عليه حراساً ، وظنوا أنهم قد دفنوا مع المصلوب رسالة الخلاص التي أتى بها من السماء ٠ ولكن خاب ظنهم ، لأن الرب يسوع قد أمات الموت بموته ، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث حياً ممجداً ، « وأقامنا معه وأجلسنا

---

* الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المجيد المنقول عبر اذاعة دمشق ، من كاتدرائية مار جرجس في ١٨/٤/١٩٨٢ ٠ ونشرت في المجلة البطريركية ـ دمشق العدد ١٧ لشهر ايلول ١٩٨٢ ٠

معه في السماويات » ( أف ٢ : ٦ ) فحق للسماء أن تذيع للبشرية بشرى الخلاص ، أمام القبر الفارغ الذي شع منه نور القيامة والحياة ، وحق للأطهار ، وتلاميذه الأبرار ، أن ينقلوا هذه البشرى السارة الى العالم أجمع ، فهم شهود عيان صادقون • وفي طليعتهم أمه مريم ، ومريم المجدلية ، وبقية النسوة من الجليل اللواتي قبل أن يأتين الى القبر باكراً في أول الأسبوع ، كنّ قد رافقن موكبه المؤلم يوم الجمعة ، وشاهدْنَه جثة هامدة ، بل ذهبن مع يوسف الرامي ونيقوديموس ومن ساعدهما في دفن جسده ، ونظرن الى القبر ، وكيف وضع الجسد ، وفي السبت استرحن حسب الوصية •

وفي هذه الاستراحة سرّ عجيب ، فقد جاء في سفر التكوين ان الرب استراح في اليوم السابع ( تك ٢ : ٢ ) بعد أن خلق العالم في ستة أيام ، وخلق الانسان في اليوم السادس على صورته كمثاله فمنحه عقلاً يميّز بين الحق والباطل ، وله قوة الابتكار والابداع ، وضميراً يُعرّفه الحلال من الحرام • وروحاً كالملائكة • وخلقه في حالة البرّ والقداسة ، ولكن الخطية مسخت صورة البرّ والقداسة في الانسان ، لذلك تجسد الاله ليعيد الى الانسان صورته الحقيقية ، ويوم الجمعة العظيمة ، اليوم السادس ، فداه بدمه الكريم وجدد خَلقتَه •

وفي اليوم السابع استراح الاله المتجسد من عمله ، ويقول الانجيل المقدس « لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً » ( يو ١٩ : ٣١ ) لأنه كان سبتاً وكان عيد الفصح أيضاً ، والفصح هو ذكرى تحرر الشعب من عبودية بشرية • أما الفداء فهو خلاص الانسان من نير عبودية الشيطان وانقاذه من براثن الموت والخطية •

« وكان يوم ذلك السبت عظيماً » وكان الرب في تدابيره الالهيـة على الأرض قـد نقض السبت ، ففي السبت شفى المرضى ، ومنح البصر للمولود أعمى ، وقـال للمخلع « قـم احمل سريرك واذهب الى بيتك » وعلمنا قائلاً : « ان السبت جعل لأجل الانسان ، لا الانسان لأجل السبت ، اذاً ابن الانسان هـو رب السبت أيضـاً » ( مر ٢ : ٢٧ و ٢٨ ) ونقض الرب السبت ، وحلل عمل الخير فيه · لذلك ففي ذلك السبت العظيم قام بعمل عظيم حيث نزلت نفسه الى الهاوية فكسَّر أغلالها ، وحطَّم أقفالها ، ودك أركانها ، وأذاع بشرى الخـلاص لآدم وحواء ، والآباء والأنبياء ، أولئك الذين رقدوا على رجـاء مجيء ماسيا ، وقال عنهم الكتاب : « في الايمان مات هـؤلاء أجمعون وهـم لم ينالوا المواعيـد بل من بعيـد نَظَـروهـا وصدّقوهـا وحيَّوْهـا وأقروا بأنهـم غرباء ونُـزلاء على الأرض » ( عب ١١ : ١٣ ) ·

ففي استراحة الرب عمل جبار ، ولا عجب فعمله مستمر، ألم يقل لليهود الذين أرادوا قتله على أثر شفاء المخلـع يوم السبت ، ان « أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل » (يوم ٥ : ١٧)·

واستراح في ذلك اليوم أيضاً تلاميذ الرب الذين كانوا قد تركوا كل شيء وتبعوه ، وكان الرب موضع أملهم الباسـم ، ورجائهم الذي لا يخيب ، ولكن بعد أن مات مصلوباً ، دفنوا مع جسده الطاهر آمالهم وأمانيهم ، وكادوا يعودون الى حرفهم وأعمالهم التي كانوا يمارسونها قبل التعرف عليه ، وبخـوف ورعدة هربوا من أمام وجه أعدائه ، وأغلقوا الأبواب عـلى أنفسهم ، واستراحوا في اليوم السابع ·

وجاءت النسوة ليعطرن الجسد بحسب عادة اليهـود ،

فوجدن الحجر الكبير قد دحرج عن باب القبر ، وسمعن الملاك يبشرهن بقيامة الفادي قائلاً : « انكن تطلبن يسوع الناصري الذي صلب ، انه قام ، ليس هو ههنا ، فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل فترونه هناك كما قال لكم » ( مت ٢٨ : ٧ ) ٠

انه قام ٠ حقاً قام ٠ وهل يعقل أن يبقى ذلك المصلوب ميتاً ، وأن يرى جسده فساداً ، وهو الذي قال عند قبر لعازر : « أنا هو القيامة والحياة » ( يو ١١ : ٢٥ ) ٠ وهو الذي أقام الموتى بكلمة من فيه ؟!٠ انه قام ٠ حقاً قام ٠ وقيامته تختلف عن قيامة الأشخاص الستة المذكورين في الكتاب المقدس الذين عادت اليهم الحياة بعد موتهم ، ولكنهم ماتوا ثانية بعد قيامتهم من الموت وفسدت أجسادهم ٠ أما الرب يسوع فقد قام من القبر ليبقى حياً الى الأبد ، وحق له أن يقول : « ٠٠٠ أنا هو الأول والآخر ، والحي وكنت ميتاً وها أنا حي الى أبد الآبدين آمين ، ولي مفاتيح الهاوية والموت » ( رؤ ١ : ١٧ و ١٨ ) ٠

وكما قَبِلَ المسيح الموت بارادته ، كذلك قام من بين الأموات بارادته ، وقوته الذاتية الالهية ، كما كان قد قال عن نفسه « لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضا » ( يو ١٠ : ١٨ ) وهكذا أعاد نفسه الى جسده ، لأن لاهوته لم يفارق جسده ولا نفسه لحظة واحدة ، ولذلك لم ير جسده فساداً ٠ وقام وآثار جروحاته بادية في يديه ورجليه وجنبه ، علامة محبة أبدية للبشرية ٠ « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » ( يو ٣ : ١٦ ) ٠

وأظهر الابن الحبيب ذاته ، بعد قيامته ، لتلاميذه الأحباء، فامتلأت قلوبهم بهجة ، وانقلب ضعفهم الى قوة ، وخوفهم الى شجاعة ، ويأسهم الى أمل ، اذ أكمل الرب وعده لهم قبل آلامه بقوله : « الحق الحق أقول لكم انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح • أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح ••• عندكم الآن حزن ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم » ( يو ١٦ : ٢٠ و ٢٢ ) • أجل على أثر قيامة المسيح صار كل واحد من تلاميذه مسيحاً صغيراً ، ويصفهم البشير لوقا بقوله : « وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » ( أع ٤ : ٣٣ ) فقد نالوا ثقة الرب الغالية فسلم اليهم رعاية أغنامه الناطقة • فبطرس مثلاً ، بعدما أنكر سيده أمام جارية حقيرة ، يوم الجمعة ، وبكى وتاب ، غفر له الرب ، وأودع اليه قطيعه الحبيب قائلاً له : « ارع خرافي ، ارع نعاجي ، ارع كباشي ، اتبعني » • فصار بطرس راعياً لكنيسة الرب • فما أسمى رتبة الرعاية التي منحها الرب لبطرس وسائر الرسل ، وما أروع الشهادة التي يقدمها بطرس عن قيامة الرب ، قائلاً : « فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك » (أع ٢:٢٢). ولاقامة الدليل على صحة هذه الشهادة وصدقها قدم بطرس نفسه ذبيحة على مذبح محبة المسيح ، وصلب منكس الرأس ليقوم مع المسيح •

هكذا جاهر التلاميذ بقيامة الفادي وختموا شهاداتهم بدمائهم الزكية ، فقد شاهدوه حياً مرات عديدة ، بعد أن قام من بين الأموات ، ولمسوه ، وأكلوا وشربوا معه وكلموه واستمعوا اليه ، فصار لهم رجاء لا يخيب ، وقدسوا يوم قيامته ، وأجمعوا على استبدال يوم السبت اليهودي بيوم

لأحد المسيحي ، ليكون يوم راحة ، ويوم عبادة . لأن فيه أكمل الفادي سر الفداء ، وقام من بين الأموات ·

وغدت عقيدة قيامة المسيح من بين الأموات أساس العقائد المسيحية كافة ، لذلك فالرسول بولس يقول : « وان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا ، وباطل أيضاً ايمانكم » ( ١ كو ١٥ : ١٤ ) · فقيامة المسيح من بين الأموات برهان قاطع ساطع على حقيقة قيامة المؤمنين لِجدة الحياة (رو ٦:٤) فبطرس الذي أنكر سيده قام مع المسيح وعاد تائبا معلنا محبته للرب فصار راعي الخراف والنعاج والكباش ، وتوما الذي هوى في وهدة الشكوك . قام مع المسيح . ونادى وهو ساجد له . « ربي والهي » · وشاول الطرسوسي الذي اضطهد أتباع المسيح . قام مع المسيح . فصار الرسول بولس . الاناء المصطفى ·

والكنيسة ككل منذ فجر النصرانية ، وحتى الآن والى الأبد ، كانت ولا تزال وستبقى حية في المسيح الحي ، وهي ولئن صلبت مرات عديدة عبر الأجيال . وستصلب . ولكنها دائما تقوم في اليوم الثالث مع فاديها الالهي . فكل صلب لديها وموت يعقبهما قيامة وحياة · ولا ينزع أحد فرحها منها ، وهي تعمل عمل الرب باحياء النفوس . فنور القيامة يضيء لها الطريق . فلا تخاف شرا ولو سارت في وادي ظلال الموت لأن المسيح الحي هو معها ، حسب وعده لتلاميذه أن يبقى معهم دائماً الى انقضاء الدهر ·

أجل ، ان قيامة المسيح هي الحجة الدامغة على صحة عقيدة القيامة العامة ويوم النشور · فقد كان المسيح قد أعلن أن الله هو اله أحياء لا اله أموات . وأن الراقدين هم أحياء .

وانهم «يكونون كملائكة الله في السماء» !! وجاءت قيامته برهاناً واضحاً على حقيقة قيامة الموتى يوم يأتي ثانية ، ولهذا فالرسول بولس يقول « لأن المسيح قد قام من الأموات وصار باكورة الراقدين » ( ١ كو ٥ : ٢٠ ) ٠

فلنسرعن الى قبر الفادي مع المريمات وسائر النساء القديسات ، والتلاميذ الأطهار ، لنرى بعين الروح القبر الفارغ الذي منه تنبعث حقيقة القيامة ، ونسمع قول الملاك : « ليس هو ههنا لكنه قام » ولنعلن ايماننا بالمسيح القائم من بين الأموات فننال الخلاص ، فيكون لنا المسيح في الضعف قوة ، وفي الضيق فرجاً ، وفي الحزن تعزية، وفي اليأس رجاءً لايخيب. ولنكن كتلاميذ الرب وأتباعه المؤمنين شهوداً صادقين للقيامة ، مبرهنين ، بسيرتنا الفاضلة ، على صدق شهادتنا ، وحقيقة قيامتنا مع المسيح ٠

ملأ الله قلوبنا بهجة قيامته المجيدة ، وأهّلنا لنقوم في مجيئه الثاني قيامة الحياة مع الذينآمنوا به وعملوا الصالحات، لنرث معه ملكوت السموات ٠



# السلام مع الله

## من مواعظ القيامة المجيدة*

## (٣)

قال الرسول بولس : « **فاذ قد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح** » ( رو ٥ : ١ ) « **الذي أُسلِم من أجل خطايانا ، وأقيم لأجل تبريرنا** » ( رو ٤ : ٢٥ ) ٠

أحنى المسيح يسوع هامته المقدسة على الصليب ، وسلم روحه الطاهرة بيد الآب السماوي ، ومات ٠ مات ذاك الذي أحيا الموتى بقوته الالهية ، وشفى المرضى ، وطهر البرص ، وشدد ركب المقعدين ، وفتح عيون العميان ، وهدى الضالين الى الطريق المستقيم ، وأتى بالخطاة الى التوبة ، وتم فيه ما كتبه النبي أشعيا على لسانه قائلا : « روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين ، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية » ( لو ٤ : ١٨ واش ٦١ : ٦١ ) ٠

مات ذاك الذي تبعته الجموع الغفيرة من كل فج عميق لتستمع الى تعاليمه السماوية « لأنه كان يعلمهم كمن له

---

* الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المجيد المنقول عبر اذاعه دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨٣/٥/٨ ٠ ونشرت في المجلة البطريركية العدد ٢٥ لشهر أيار ١٩٨٣ ٠

سلطان وليس كالكتبة » ( مت ٧ : ٢٩ ) ففي عظته على الجبل قال لهم : « طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات ٠٠٠ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعَون » ( مت ٥ : ٣ و ٩ ) ٠

ولم يكتف بهذا بل وضع القاعدة الذهبية لمعاملة الانسان أخاه الانسان قائلاً : « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم ، لأن هذا هو الناموس والأنبياء » ( مت ٧ : ١٢ ) ٠

فاذا تجرد الانسان من أنانيته ، وأحب ربه من كل قلبه وكل ارادته وأحب قريبه كنفسه ، فانه يستطيع أن يكمل وصية الرب هذه ، بل يتوصل أيضاً الى الكمال المسيحي باتمام أمر الرب القائل « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم صلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات » ( مت ٥ : ٤٤ و ٤٥ ) ٠ ان الآب السماوي ، « الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » ( رو ٥ : ٧ و ٨ ) هذه المحبة المضحية ، التي لا تطلب ما لنفسها بل ما للآخرين ٠ المحبة التي تنقض سياج العنصرية البغيضة ، وتهدم الفوارق المذهبية بين البشر ، وتعلم الناس الاخاء المتبادل ، « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » ( يو ٣ : ١٦ ) ٠

لقد كان موت المسيح على الصليب ضرورياً لخلاص الجنس البشري ، كما نص قانون الايمان النيقاوي بقوله : « الذي من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء والدة

الاله ، وصار انساناً وصلب عوضاً عنا في عهد بيلاطس البنطي تألم ، ومات ، ودفن ، وقام في اليوم الثالث » ويقول الرسول بولس بهذا الصدد : « الذي أسلم من أجل خطايانا ، وأقيم لأجل تبريرنا » ( رو ٤ : ٢٥ ) ٠

فالسيد المسيح بموته كان بديلاً ، أي انه مات عوضاً عن البشرية وكان موته ضرورياً ليفي عدل الله حقه ، وليوفق ما بين عدله تعالى ورحمته ٠ وكان اختيارياً ، أي بارادته وارادة أبيه السماوي ، وهو الاله المتجسد البريء من العيوب ، المعصوم من الخطأ ، حلَّ محل الانسان الخاطىء واحتمل الآلام بمحض ارادته نيابة عنه ، ومات على الصليب ليصالحنا مع أبيه السماوي على حد قول الرسول بولس « لأنه جعل الذي لم يعرف خطيئة ، خطيئة لأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه » ( ٢ كو ٥ : ٢١ ) و « المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا » ( غلا ٣ : ١٣ ) ٠ وقال الرسول بطرس « الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا ونحيا للبر » ( ١ بط ٢ : ٢٤ ) ٠

ولم يكن المسيح عاجزاً عن التخلص من أيدي أعدائه اليهود والرومان ، ولكن كان لا بد من أن يشرب كأس المنايا في سبيل خلاص الانسان ٠ وقد قال « كما ان ابن الانسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين »

أجل مات المسيح ، وانتهى آخر فصل من فصول مأساة الجلجلة بعد ظهر يوم الجمعة لما سلَّم روحه بيد أبيه السماوي ، وطعن في جنبه بحربة ، فجرى منه دم وماء ٠ وتأكد أعداؤه من موته التام ٠٠ وباذن من بيلاطس الوالي ، جاء يوسف الرامي ونيقوديموس وأنزلا جسده الطاهر من على الخشبة ، وحنطاه

وكفناه بكتان وبخور ، وطيوب وعطور • ودفناه في القبر الجديد المنحوت في صخرة ، ودحرج على باب القبر حجر كبير•• وبأمر بيلاطس وتلبية لطلب رؤساء كهنة اليهود ، ختم القبر بأختام السلطة الرومانية • وأقيم الجند لحراسته ، لأن أعداءه تذكروا بعد أن أماتوه بالجسد أنه قال « اني أقوم بعد ثلاثة أيام . فضبطوا القبر بالختم ، ووضعوا عليه الحراس » ( مت ٢٧ : ٦٣ و ٦٦ ) •

نعم مات المسيح على الصليب ، ودفن في القبر الجديد ، مات ذاك الذي صنع سوطاً من حبال وطرد من هيكل الرب الصيارفة وباعة الحمام ، فقال له اليهود أية آية ترينا حتى تفعل هذا • أجاب يسوع وقال لهم : « انقضوا هذا الهيكل • وفي ثلاثة أيام أقيمه ، فقال اليهود في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه ؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده • فلما قام من الأموات تذكّر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع » (يو ٢ : ١٨ ـ ٢٢).

ففي فجر يوم الأحد ، وقد جاءت النسوة الى القبر ليعطرن الجسد حسب العادة المتبعة يومئذ وجدن الحجر الكبير قد دحرج عن بابه • والأكفان موضوعة بانتظام ، لا تدل على عجلة أو اسراع أو خوف أو فزع • ورأين داخل القبر ملاكا قال لهن : « أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب قد قام ليس هو ههنا هوذا الموضع الذي وضعوه فيه » ( مر ١٦ : ٦ ) •

كان الفادي قد قام من بين الأموات ، وخرج من القبر ، على الرغم من وجود الحجر الكبير على بابه ، وأشرق نوره الالهي الباهر حول المكان كله ، ثم جاء الملاك ودحرج الحجر الكبير من على باب القبر لتتيسر للنسوة والتلاميذ رؤية القبر

الفارغ · وكانت الأرض قد تزلزلت فارتعب الحراس وسقطوا على وجوههم ، وصاروا كالأموات ··· وذهبوا الى المدينة وأخبروا سادتهم بأن المسيح قد قام ··· ولكن رؤساء كهنة اليهود قد قسَّوا قلوبهم ، وضيَّعوا الفرصة الذهبية للتوبة ، والعودة الى الله ، والايمان بالمسيح يسوع المنتظر · فرشوا الحراس وسدوا بالفضة أفواههم فصمتت ألسنتهم ولم ينطقوا بالحق · والساكت عن الحق شيطان أخرس · بل انقلبوا الى شهود زور كاذبين ، ويل لهم في يوم الدين ·

أما حقيقة قيامة السيد المسيح فهي واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار ، وهل يمكن حجز نور الشمس بغربال ؟! فالمسيح قد قام ، حقاً قام ، وتم ما قاله النبي داود على لسانه « لأنك لن تترك نفسي في الهاوية » « لن تدع تقيَّك يرى فساداً » ( مز ١٦ : ١٠ وأع ٢ : ٢٧ و ٣١ ) أجل قام المسيح من بين الأموات ، وظهر للتلاميذ مرات عديدة ، وفي أماكن مختلفة ، وقد ظهر في احدى هذه المرات لأكثر من خمسمائة منهم ، فشاهدوه بعيونهم ، ولمسوه بأيديهم ، وسمعوه بآذانهم ، وأكلوا وشربوا معه ، وأكل وشرب معهم ·

وقد ظهر يوم قيامته للمجدلية ، وللنسوة ، ولبطرس ، وللتلميذين المسافرين الى عماوس · وفي مساء ذلك اليوم بالذات كان التلاميذ مجتمعين في العلية خوفاً من اليهود ، وقد أوصدوا الأبواب عليهم وأحكموا تقفيلها · وقلوبهم مضطربة هلعة ، ونفوسهم قلقة خائفة · فظهر يسوع في وسطهم « وقال لهم السلام لكم » ( يو ٢٠ : ١٩ ) ولئلا يظنوا أنه خيال ، قدم لهم يديه ، وأراهم رجليه وأثر الحربة في جنبه ·· ففرح التلاميذ اذ عاينوا الرب ، وازداد فرحهم بعبارة السلام التي فاه بها ، وهو يعني كل حرف فيها ··

ان هذا السلام هو خير ما تركه السيد المسيح لأتباعه ، انه اطمئنان القلب ، وراحة الضمير ، ورجاء لا يخيب ، وأمل باسم • فمهما كانت العواصف شديدة عنيفة ، والسحب سوداء كثيفة ، والصواعق مرعبة مخيفة ، فنحن نحلق في أجواء الروح، والنفس مطمئنة لأن عناية الرب تشملنا . وعينه الساهرة ترعانا . ووعده الالهي لنا يبعث السلام في قلوبنا ، وقد قال : «وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (مت١٠:٣٠) وأساس هذا السلام هو المصالحة مع الله ، الغاية القصوى من تجسد الفادي • وعبارة السلام هذه أسمعتنا اياها السماء منذ أن بشر الملاك جبرائيل العذراء مريم بالحبل بيسوع ، كما أنشدت الملائكة أنشودة السلام يوم ميلاد الفادي قائلة : « المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » ( لو ٢ : ١٤ ) وقبيل آلامه طمأن الرب تلاميذه المضطربين بعبارات السلام قائلاً : « سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم • ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا » ( يو ١٤ : ٢٧ ) والآن بعد قيامته أعطى السلام لتلاميذه ففرحت قلوبهم لأنهم عاينوا الرب •

ما أحوجنا اليوم ، أيها الأحباء ، الى سلام المسيح ربنا • السلام المبني على أساس قيامته المجيدة من بين الأموات ، ذلك أن القيامة هي الكفالة الراهنة للمواعيد التي قطعها الرب للعالم • فقد أنارت لنا قيامته طريق الحياة ، وأثبتت لنا صدق وعده الالهي الذي أعلنه بقوله : « أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الأبد » ( يو ١١ : ٢٥ و ٢٦ ) • فكما أن الموت أنواع ثلاثة ، موت أدبي ، وموت طبيعي ، وموت أبدي ، كذلك الحياة بالمسيح أنواع ثلاثة : حياة أدبية ، وحياة طبيعية ، وحياة

أبدية · والمسيح بقيامته من بين الأموات وهب لنا نحن الذين دفنا معه بالمعمودية للموت أن نقوم معه ونسلك في جدة الحياة ( رو ٦ : ٤ ) · كما وضح لنا الرسول بولس · وهذه الحياة هي الحياة الأدبية ، حياة الطهر والنقاء ، والبر والقداسة « فان سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح » ( في ٣ : ٢٠ ) · ومع المسيح انتصرنا على الموت الطبيعي ومعه يحق لنا أن نقول : « أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية » ( ١ كو ١٥ : ٥٥ وهو ١٣ : ١٤ ) فقد أبطلت قيامة المسيح من بين الأموات عزّ الموت ، ومنحت البشرية النصر والغلبة ، وملأت قلوبنا رجاء لا يخيب · وبرهنت على أن الموت الطبيعي ليس نهاية لحياتنا بل هناك حياة بعد الموت ، واننا بالموت الطبيعي ننتقل من حياة فانية زائلة ، الى حياة باقية خالدة ، ومن بؤس وشقاء الى سعادة وهناء ، وبهذا الصدد يقول الرسول بولس : « ان كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح ، فاننا أشقى جميع الناس ، ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين » ( ١ كو ١٥ : ١٩ و ٢٠ ) ·

ان بواكير الثمار التي كانت تقدم للرب تعد كوعد بحصاد قادم من نوعية جيدة · فقيامة المسيح أظهرت لنا ما ستكون عليه اجسادنا المقامة بقوة المسيح في اليوم الأخير ، كقول الرسول بولس : « الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » ( في ٣ : ٢١ و ١ يو ٣ : ٢ ) أي على شكل جسده لما تجلى على الجبل أمام ثلاثة من تلاميذه ، وهو شكل جسده بعد قيامته من بين الأموات ·

والمسيح بعد قيامته لم يمت ثانية ، ولن يموت أبداً بل هو حي الى الأبد ويحيي الموتى بوساطة كنيسته المقدسة التي

هي جسده السري ، والتي هي حية فيه · وتأثيره في العالم ، عبر الدهور ، يبرهن على أنه حي ، وقد وعد أن يكون معنا الى انقضاء الدهر ، وان كنيسته ثابتة على صخرة الايمان به، وأبواب الهاوية لن تقوى عليها ، فلن تتزعزع أركانها مهما قسا الدهر عليها ·

والمسيح مع كل فرد من المؤمنين وقد وعد قائلاً : « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » ( مت ١٨ : ١٠ ) وتلاميذ الرب يعلمون أنه لا قيامة بدون موت ، ولا اكليل مجد بدون اكليل من شوك · لذلك لما يقبلون المسيح المصلوب مخلصاً شخصياً لهم يصلبون معه ذواتهم ليحيوا لا هم بل المسيح يحيا فيهم على حد تعبير الرسول بولس · فاذا كانوا أمواتاً بالخطية كشاول الطرسوسي، فانهم سينالون الحياة بالمسيح فيصيرون كالرسول بولس آنية مختارة ·

ان العديد من القديسين في السماء كانوا خطاة وعمياناً ، لهم عيون ولا يبصرون ، ولكنهم لما آمنوا بالمسيح مخلص العالم تناثرت القشور التي كانت متلبدة على عيونهم ، فانفتحت عيونهم ، وأبصروا نور المسيح القائم من بين الأموات ، وآمنوا به فنالوا نعمة التبرير والتقديس والتجديد والتبني ، وصاروا أبناء الله بالنعمة وورثة لملكوته السماوي ·

لنقم نحن أيضاً مع المسيح أيها الأحباء ، لنراه جيداً وهو يقول : « انظروا يديَّ ورجليَّ أنا هو » ( لو ٢٤ : ٣٣ ) انه المخلص الذي أحبنا وهذه الجروحات أصابته من أجلنا فماذا قدمنا نحن لأجله ؟ ·

لنفحص أيدينا وأرجلنا · هل عملت أيدينا أعمال الخير والصلاح ، هل سلكت أقدامنا في طريق البر والاستقامة ؟

لننصت جيداً فنسمع الرب يقول لنا « السلام لكم » فتمتلىء قلوبنا بالمحبة لله ، وللقريب ، ونكون بسلام مع الله ، ومع أنفسنا ومع القريب .

وعندما تأتي الساعة لنغادر هذه الفانية تكون نفوسنا مطمئنة وأشواقنا الى المسيح ملتهبة ، كالرسول بولس الذي قال : « لي اشتياق أن أنطلق وأكون مع المسيح ، ذلك أفضل جداً » ( في ١ : ٢٢ ـ ٢٤ ) ولا غرو فقد وعد الرب تلاميذه بقوله : « ها أنذا ماضٍ لأعد لكم مكاناً ... وحيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً معي » ( يو ١٤ : ٣ ) .

أهّلنا الرب الاله جميعاً ، لنعيِّد عيد قيامته هذا المقدس بالأفراح والمسرات . وعندما يحين موعد انتقالنا اليه ، ونسير في وادي ظلال الموت ، لا نخاف شراً لأنه معنا ، ينير لنا الهاوية بنوره ، فنرقد بسلام ، لأن أعيننا قد نظرت خلاصه كسمعان الشيخ . وحينما تأتي الساعة التي قال عنها الرب ان جميع من في القبور يسمعون فيها صوته فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة ليؤهلنا الرب لنقوم قيامة الحياة لنملك معه الى الأبد فنعيد عيد القيامة العامة لا تزول أفراحه ولا تحول ، بنعمته تعالى آمين .



# طريق الخلاص

## التوبة[1]

### « لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة الى التوبة »[2]

يحدد الرب يسوع بهذه الآية المقدسة الغاية القصوى من مجيئه الى العالم ألا وهي دعوة الخطاة الى التوبة ، وبالتالي تبريرهم وتقديسهم واعادتهم الى السماء وطنهم الأول ٠

فالانسان اذ خلق على صورة الله ، في حالة البر والقداسة، كانت له مع خالقه شركة تامة ، ولكنه لما هوى في وهدة الخطيئة وصار تحت حكم الموت الطبيعي ، والأدبي ، انفصل تلقائياً عن الله باريه ، لأن الله هو الحياة والبر والقداسة ، « ولا يستطيع أحد أن يرى الله دون القداسة »(٣) ، « لأنه أية خلطة للبر والاثم ، وأية شركة للنور مع الظلمة »(٤) ٠

وحيث ان آدم ، الانسان الأول ، كان نائباً عن نسله في اجراءات العهد الذي بينه وبين الله ، وفي النتائج التي ترتبت عن هذا العهد ، لذلك فالجنس البشري كله صار تحت حكم

---

١ ـ العظة التي ارتجلها المؤلف يوم كان مطران بغداد والبصرة ، في حفلة ( يوم الصلاة المسكوني ) التي أقامتها اللجنة النسائية لاتحاد الطوائف المسيحية في بغداد ، في كنيسة الأرمن الأرثوذكس في ١٩٧٣/٣/٢ ونشرت أولا في المجلة البطريركية ـ دمشق العدد (١٠٤) لشهر نيسان ١٩٧٣ ٠

٢ ـ ( مت ٩ : ١٣ ومر ٢ : ١٧ ولو ٥ : ٣٢ ) ٠

٣ ـ ( عب ١٢ : ١٤ ) ٠

٤ ـ ( ٢ كو ٦ : ١٤ ) ٠

المعصية كأبيه آدم ، هذه العقيدة السمحاء يلخِّصها الرسـول بولس بقوله : — « من أجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس · اذ أخطأ الجميع »(٥) ·

واذا كانت الخطية عداوة مع الله لا عجب اذا ما نشأ عنها القلق والاضطراب ، والحزن والكآبة . وفقدان السلام ، لأنها تثير غضب الله الرب على الانسان · فبسببها أغرق الله العـالم بطوفان عام ، وأحرق سادوم وعمورة بنار وكبريت ، وبسببها قال الرب « لا يحل روحي على الانسان أبداً لأنه جسد »(٦) ·

ولم يكن الانسان كفؤاً لينقض سياج العداوة القائم بين الأرض والسماء ، ويرفع الاثم عن نفسه ، وينال التبرير ، لأنه قد ( صار بالطبيعة ابن الغضب )(٧) ، لذلك « فقد صولحنا مع الله بموت ابنه »(٨) ، « لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالايمـان وذلك ليس منكم ، هو عطية »(٩) ·

وحتى ناموس موسى كان قاصراً عن تبرير الانسان من الخطية ، ولئن سلّط الأضواء عليها ، وكشف سرّها ، وأعلنها ، وفضح مستورها ، لذلك قال الرسول بولس : « لأنه ان كان في الناموس بر فالمسيح اذا مات بلا سبب »(١٠) ·

فالمسيح بموته على الصليب محا صك الخطية ، وحررنا من عبودية ابليس واشترانا بدمه الزكي الثمين ، وجعلنا أبناء لأبيه السماوي ، وهياكل طاهرة للروح القدس ·

---

٥ — ( رو ٥ : ١٢ ) ·
٦ — ( تك ٦ : ٣ ) ·
٧ — ( انظر أف ٢ : ٣ ) ·
٨ — ( رو ٥ : ١٠ ) ·
٩ — ( اف ٢ : ٨ ) ·
١٠— ( غل ٢ : ٢١ ) ·

والمسيح انما جاء الى عالمنا هـذا ليأخذنا الى الملكوت . فسمعناه « يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات »(١١) · ولم يكتف بهذا ، بل جالس العشارين ، وأكل مع الخطاة · وقد نهج تلاميذه منهجه ، ونسجوا على منواله في المناداة بالتوبة · فعلى أثر خطاب الرسول بطرس يوم الخمسين ، عندما نخس اليهود في قلوبهم ، وسألوا التلاميذ : « ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة ، فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس »(١٣) ·

فقبل أن ينال الانسان موهبة الروح القدس اذن ، وقبل أن يقتبل نعمة التبرير والتقديس والتبني بوساطة المعمودية، لا بدّ له من أن يقدم توبة نصوحا · فالرسول بولس يقول « فدفنّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة »(١٤) ·

فالدفن مع المسيح ، والقيامة معه اشارة الى ولادة ثانية قال عنها الرب لنيقوديموس : « الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله »(١٥) وزاد الرب ايضاحاً قائلاً « الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله »(١٦) ، ولكن هل

---

١١- ( مت ٤ : ١٧ ) ·
١٢- ( مت ٩ : ١٣ ومر ٢ : ١٧ ولو ٥ : ٣٢ ) ·
١٣- ( اع ٢ : ٣٨ ) ·
١٤- ( رو ٦ : ٤ و كو ٢ : ١٢ ) ·
١٥- ( يو ٣ : ٣ ) ·
١٦- ( يو ٣ : ٥ ) ·

بامكان هذه الولادة الجديدة أن تصوننا من الخطية ؟ كـلا ، فطالما نحن لابسون جسد الخطية نئن من ثقلها . ويقول كل منا مع الرسول بولس « ويحي أنا الانسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت »(١٧) . واذا كانت قوة الميلاد الثاني لاتصوننا من الخطية ، ولكنها تضمن لنا الحرية في المسيح ، فالمسيح اذ حررنا من الخطية الجدية وانتصر على التجربة ، وغلب الخطية الفعلية ، وهب لنا عربون الغلبة ، فبه وحده نتمكـن من أن نغلب الخطية ، أي أن لا ندعها تمكث فينا بل نتوب عنهـا ٠ فالتوبة هي الانتصار على الخطية ، وهي عمل الروح القدس في قلب المؤمن ٠ هي كآبة ودموع وندامة وطلب المغفرة ، هي صوم وصلاة وفحص الضمير والندامة والاعتراف بالخطايا ، هي شعور الخاطىء بجسامة خطيته ، بضآلته ، وعدم مقدرته للحصول على المغفرة وحـده ، وحاجته الى المسيح ، وعزمـه على ترك جانب الخطية حالا ، والسير في طريق الرب ، متحرراً من أسباب الآثام ، ومسلـّماً ذاته لخدمة الله وعبادته تعالى وحده دون سواه ٠ وبذلك يكون التائب قد نال غفران الخطايا وصار انساناً جديداً اذ قد استجيبت طلبته كما استجيبت طلبة داود يوم قال : « ارحمني يا الله حسب رحمتك ، حسب كثرة رأفتك امح معاصيّ ، قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي »(١٨) ٠ لنا مثال في التوبة : شاول الطرسوسي الذي كان في طريقه من أورشليم الى دمشق يخطط للمزيد من أعمال العنف في اضطهاد كنيسة المسيح ، شاول هـذا يتبـدل حالا ، يتجدد ، يولد ثانية ، يصير بولس الرسول بوق الكلمة الانجيلية ومشرّع النصرانية ، والمضطـَهد ( بفتح الطاء ) أكثر من سائر

---

١٧- ( رو ٧ : ٢٤ ) ٠

١٨- ( مز ٥١ : ١ و ١٠ ) ٠

الرسل في سبيل المسيح . يا لعظيم قوة التوبة ؟! نرى أيضاً الابن الشاطر وهو يرعى الخنازير في حقل بعيد في ديار الغربة ، كيف يرجع الى نفسه ويعقد النية على العودة الى أبيه ويقول « أقوم الآن واذهب الى أبي وأقول له . أخطأت الى السماء وقدامك ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً اجعلني كأحد اجرائك . فقام وجاء الى أبيه »(١٩) ، فيعاد اليه الخاتم البنوي الثمين ، والحلة الأولى الفاخرة ، والحذاء في رجليه ، ويذبح له العجل المسمَّن ، ويولم له أبوه وليمة الفرح ، لأن ابنه هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد . قال الرب : « أقول لكم انه هكذا يكون فرح في السماء بخاطىء واحد يتوب »(٢٠) .

فالرب يسوع المسيح ينظر الى الخاطىء نظرة عطف وحنان ، نظرة الطبيب المخلص الى المريض المدنف المحتاج الى المعالج ، نظرة الراعي الصالح الى الخروف الضال العائد الى حظيرة الخراف(٢١) والمرأة الى الدرهم المفقود الموجود(٢٢) . فالرب مستعد أن يغفر ويصفح ويسامح ويعفو عما سلف ، فانه يقول : « من يقبل الي لا أخرجه خارجاً »(٢٣). « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم »(٢٤) ارجعوا اليّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومزّقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم »(٢٥) ، « هاءنذا واقف على الباب أقرع . ان سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل اليه وأتعشى معه وهو معي »(٢٦)

---

١٩- ( لو ١٥ : ١١ - ٣٢ ) .
٢٠- ( لو ١٥ : ٧ و ١٠ ) .
٢١- ( انظر لو ١٥ : ٤ ) .
٢٢- ( انظر لو ١٥ : ٨ ) .
٢٣- ( يو ٦ : ٣٧ ) .
٢٤- ( مت ١١ : ٢٨ ) .
٢٥- ( يو ٢ : ١٢ و ١٣ ) .
٢٦- ( رو ٣ : ٢٠ ) .

« هلم نتحاجج يقول الرب : ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ كالثلج ، وان كانت حمراء كصبغ الدود تصير كالصوف »(٢٧).
« ما أعظم رحمة الرب وعفوه للذين يتوبون اليه »(٢٨) ·

لنلب دعوة الرب أيها الأخوة · « اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم(٢٩) ·

ان حياتنا في هذا العالم يكتنفها الشقاء ، ويحيط بها البلاء من كل جانب ، ومدتها قصيرة مهما بدت للناظرين طويلة . هي كسحابة صيف زائلة لا محالة ·

اننا على قا بقوسين أو أدنى من الأبدية ، فأين نقضي الأبدية يا ترى ؟ ان ربنا ينادينا قائلاً : « اسهروا اذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم »(٣٠) ، وفرصتنا اليتيمة للتوبة ، هي هذه اللحظات · فلا ندعن الفرصة الثمينة تفوتنا. أيها الأخوة ، ولنسهرن مستعدّين للقاء ربنا ، متّشحين بثياب العرس النقية « لنصنع ثماراً تليق بالتوبة »(٣١) « ما دام الوقت يدعى اليوم،لكي لايقسّى أحدمنكم بغرور الخطية»(٣٢) فلا توبة بعد الموت ، لأن وراء القبر دينونة رهيبة ، والرب ينذرنا بقوله « ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون »(٣٣)

---

٢٧- ( اش ١ : ١٨ ) ·

٢٨- ( سي ١٧ : ٢٨ ) ·

٢٩- ( مز ٩٥ : ٢٧ وعب ٣ : ٧ و ١٥ و ٤ : ٧ ) ·

٣٠- ( مت ٢٤ : ٤٢ ) ·

٣١- ( لو ٣ : ٨ ) ·

٣٢- ( عب ٣ : ١٣ ) ·

٣٣- ( لو ١٣ : ٣ و ٥ ) ·

« رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان وهذا أعظم من يونان ههنا »(٣٤) .

أيها الأخوة : لنعقدن النيَّة الآن على العودة الى بيت الآب السماوي ، فهو يتطلع الى عودتنا بشوق عظيم ، ليعيد الينا الخاتم البنوي الثمين ، والحلة الأولى الفاخرة ، وليذبح لنا العجل المسمَّن ولتفرح ملائكته بنا نحن الخطاة التائبين . « لأن ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك »(٣٥) ، ولأنه لم يأت ليدعو أبراراً بل خطاة الى التوبة(٣٦) ، وهو يحذرنا قائلاً : « ها أنا آت كلص . طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه »(٣٧) آمين .



---

٣٤- ( مت ١٢ : ٤١ ) .
٣٥- ( لو ١٩ : ١٠ ) .
٣٦- ( مت ٩ : ١٣ ) .
٣٧- ( رؤ ١٦ : ١٥ ) .

# الصعــود الى الله

## الصـــــوم*

« قدّسوا صوماً ، نادوا باعتكاف » (سفر نبوءة يوئيل ١:١٤)

ها ان الصوم الأربعيني المقدس قد أقبل موعده علينا ، وهو الفرصة الذهبية الثمينة التي تتيحها لنا أمنا الكنيسة المقدسة لننتهزها ونفحص خلالها نفوسنا فنتجنب الرذائل ونتمسك بالفضائل ونعود الى الله تائبين « فهوذا الآن وقت مقبول ، هوذا الآن يوم خلاص » ( ٢ كو ٦ : ٢ ) . وكما يدرّب النسر فراخه على التحليق في الجو عاليا ، هكذا تفعل الكنيسة المقدسة بتدريب المؤمنين على التحليق في الأجواء الروحية ، موفرة لهم وسائل النعمة للتحرر من قوة جاذبية الأرض والأرضيات التي تشدهم اليها . وتسعى الكنيسة أيضاً الى تخطي معوقات الحياة الروحية ليتقدم المؤمنون في حياة الفضيلة ويبلغوا ذروة الكمال الانجيلي بكبح جماح الأهواء الجسدية المنحطة . والعمل « لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية » ( يو ٦ : ٧ ) فيمتنعوا خلال الصوم المقدس عن تناول الغذاء لمدة معينة ، وتناول بعض الأطعمة الصيامية الخفيفة اختياريا . وبذلك تتأجج في قلوبهم جذوة القداسة وينتقلون من قوة الى قوة ، باخضاع ارادة الجسد للروح « لأن الجسد يشتهي ضدّ الروح والروح ضدّ الجسد ، وهذان يقاوم

---

* نشرت في المجلة البطريركية العدد ٣ لشهر آذار ١٩٨١ .

أحدهما الآخر حتى تفعـلون ما لا تريدون » ( غل ٥ : ١٧ ) على حد قول الرسول بولس • فبالصوم يتمكن المؤمنـون من تجنب شهوات الجسد ويفعلون الصلاح الذي يريدونه •

أيها الأحباء ، ان الصوم وضع الهي ، فرض أولا عـلى أبوينا الأولين كوصية أولى ، ولما كسراهـا سقطا في الخطيـة واستحقا الموت بأنواعه ، وبعد أن كان الانسان قريباً من الله أبعد عنه ، بل اختبأ من أمام وجهه تعالى ولم يقـدر أن يراه ( تك ٣ : ٨ ) لأنه عصى أمره الالهي ولم يتمسك بالصوم الذي فرض عليه • وفي ميدان ارضاء الله تعالى مارس الآباء والأنبياء أصواماً • وقد أمر الله تعـالى النبي موسى أن يقدس نفسـه بالصوم ويقدس الشعب أيضاً معه قبل أن يدنو من جبل سينـاء لأخذ الوصايا ( خر ٣٤ : ٢٨ ) فوجد نعمة لدى الله واستحق أن يرى مجده تعالى ( خر ٣٣ : ١٣ و ١٨ ) وأنزل الشريعـة للشـعب •

وصام النبي ايليا أربعين نهاراً وأربعين ليلة (١ مل١٩ :٨) وقد انتصر على كهنـة البعل وجـذب الشعب الى الشريعـة واستحق أن يصعد الى السماء بمركبة نارية •

وصام النبي دانيال ثلاثة أسابيع لم يأكل فيها لحماً ولم يشرب خمراً ( دا ١٠ : ٢ ) فسد أفواه الأسود فلم تؤذه •

وصام أهل نينوى مع أطفالهم وماشيتهم ( يون ٣ : ٧ ) فقبل الرب توبتهم ، ونجت من الدمار مدينتهم •

فالآبـاء الأولون والأنبيـاء الصالحون مارسوا فريضـة الصوم ارضاء لله تعالى وتجنباً للمحارم والمآثم خاصة في أوقات الشدة وزمن التجربة •

أما ربنا يسوع المسيح فقد أوجب علينا الصوم وعلمنا اياه عملياً بصومه عنا أربعين نهاراً وأربعين ليلة ، وجاع أخيراً ( مت ٤ : ٢ ) وجرّبه ابليس ، فضفر بابليس ، وأعطانا سر الغلبة حيث قال : « أما هذا الجنس فلا يخرج الا" بالصلاة والصوم » ( مت ١٧ : ٢١ ) ولما سئل عن علة اهمال تلاميذه الصوم – حسب ادعاء أعدائهم عليهم – تضمن جوابه وجوب الصوم على التلاميذ بعد صعوده الى السماء حيث قال : « يُرفَع العريس عنهم فحينئذ يصومون » ( مت ٩ : ١٦ ) ووصف في موضع آخر كيفية الصوم النقي المقبول لديه تعالى بقوله : « ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين » ( مت ٦ : ١٦ ) ·

ونستدل من سفر أعمال الرسل على أن تلاميذ الرب كانوا يلتزمون بالأصوام وخاصة عند انتخاب الرعاة ، وفي اشتداد الاضطهادات ووقوع الملمات كالحروب والأوبئة · وكان الرسول بولس يصوم أصواماً متتابعة ( ٢ كو ٦ : ٥ و ١١ : ٢٧ وأع ٢٧ : ٣٣ ) ·

وقد فرض الرسل الصوم على المؤمنين فأخذته الكنيسة عنهم ورتبت سائر الأصوام · وأثبت التاريخ الكنسي أن المسيحيين منذ فجر النصرانية كانوا يصومون الصوم الأربعيني المقدس وأسبوع الآلام ويومي الأربعاء والجمعة من كل أسبوع وحكمت القوانين بالعقاب الصارم على ذوي الدرجات الكهنوتية وسائر المؤمنين الذين يكسرون وصية الصوم ما لم يكن عدم صومهم ناشئاً عن مرض جسدي ·

فما أحرانا أيها الأحباء أن نقتدي بآبائنا الأبرار ، والكتاب المقدس يوصينا قائلاً : « أنظروا الى نهاية سيرتهم

فتمثلوا بايمانهم » ( عب ١٣ : ٧ ) خاصة ونحن نحيا في فترة من الزمن عصيبة تكاد خلالها جذوة الايمان تخمد في قلوبنا ، وقد بردت المحبة في أفئدتنا ، وتقاعسنا عن القيام بفروض الصوم والصلاة ، وانهمكنا بمحبة المادة ، وأهملنا الصدقات وتم فينا ما قيل عن غير المؤمنين من أن « الههم بطونهم ومجدهم في خزيهم » ( في ٣ : ١٩ ) الأمر الذي يقرع لنا ناقوس الخطر خطر الابتعاد عن الله فلنسمع الرب على لسان النبي يوئيل قائلاً : « قدّسوا صوماً نادوا باعتكاف ··· مزّقوا قلوبكم لا ثيابكم » ( يوئيل ١ : ١٤ و ٢ : ١٣ ) فلنصم صوماً روحياً مقبولاً لا عن الطعام والشراب فحسب بل عن الشرّ والآثام ، لتصم أفكارنا عن التصورات القبيحة ، وألسنتنا عن الكلام الباطل ، وأجسادنا عن الشهوات ، ولتخضع ارادتنا لله تعالى ، ليكون صومنا مقبولاً لديه تعالى كقول نبيه أشعيا : « أليس هذا صوماً اختاره ، حَلّ قيود الشرّ ، فَكّ عقد النير واطلاق المسحوقين أحراراً ··· أليس ان تكسر للجائع خبزك وان تدخل المساكين التائهين الى بيتك ··· حينئذ تدعو فيجيب الرب وتستغيث فيقول ها أنذا » ( اش ٥٨ : ٦ ـ ١٢ ) ·



# الحيــاة في المســيح*

**« فقط عيشوا كما يحق لانجيل المســيح حتى اذا جئت ورأيتكم ، أو كنتُ غائباً أسمعُ أموركم انكم تثبتون في روحٍ واحــدٍ مجاهدين معــاً بنفس واحــدة لايمــان الانجيــل » .**
( فيلبي ١ : ٢٧ ) .

يفتتح الرسول بولس رسالته الى أهل فيلبي بتقــديم الشكر لله وطلب الأدعية منه تعالى لأجل الفيلبيين ، لمشاركتهم اياه نعمة الانجيل المقدس ، أي نعمة البشرى ، لأن الانجيــل يتضمن بشرى الخلاص .

ويشير الرسول يوحنا ، قبل أن يختتم انجيله ، الى الغاية القصوى من كتابته بقوله : « وأمَّا هذه فقد كُتبَتْ لتؤمنُوا أنَّ يسوع هو المسيحُ ابنُ الله ، ولكي تكونَ لَكم اذا آمنتــم حياة باسمه » ( يو ٢٠ : ٣١ ) وهذه الحياة التي ينالها المؤمنون بالمسيح يسوع بوساطة الانجيل ، انما هي الحياة في المســيح ومعه على الأرض وفي السماء وهي التي ذكرها الرب بقوله : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أنَّ لكم فيها حياة أبدية . وهي التي تَشهدُ لي » . ( يو ٥ : ٣٩ ) وما تفتيش الكتب هنا الا دراستها بامعان واهتمام ، ومن فعل ذلك فلا بد من أن يكتشف المسيح المخلص الذي حوله تدور النبوات الصادقة المدونــة في

---

* نشرت في المجلة البطريركية العدد ١٢ لشهر شباط ١٩٨٢ .

كتب العهد القديم الموحى بها من الله . وقد كتبها رجال مرسلون منه تعالى ، اتصفوا بالسيرة الصالحة ، وعُرفوا بالصدق والاستقامة وقد استؤمن شعب العهد القديم على حفظ هذه النبوات التي هي أقوال الله ( رو ٣ : ٢ ) فعبدها بعضهم جهلاً وضلالة ، ولم يقرؤوها بتمعن ، ولم يدرسوها بايمان وتقوى ومخافة الرب ، ليعرفوا زمن افتقادهم ، لذلك وبخهم الرب قائلاً : « لأنكم لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني ٠ فان كنتم لستم تصدقون كتبَ ذاك فكيف تصدّقون كلامي » ( يو ٥ : ٤٦ و ٤٧ ) ٠

ان الانجيل ، أيها الأحباء ، شهادة الهية صادقة ، وجسر روحي متين ، يوصلنا الى معرفة طريق الحياة الأبدية فقد أتى المسيح الى عالمنا لتكون لنا الحياة ( يو ١٠ : ١٠ ) وهو الطريق ، والحق ، والحياة ٠ وقد دعانا اليه لننال به الحياة ولكن اليهود رفضوه فقال لهم : « ولا تريدون أن تأتوا اليَّ لتكون لكم حياة » ( يو ٥ : ٤٠ ) ٠

والانجيل المقدس ، وهو سجل صادق لما قاله الرب يسوع وعمله في تدبيره الالهي بالجسد ، لا يملي علينا أوامر لنأتمر بها ، ولا يعطينا وصايا لنتمسك بها ، كما لا يعدد نواهي لنبتعد عنها ، انما يقدم لنا المسيح يسوع مثالاً حياً ، لنتمثل بحياته ، ونقتدي به ونحمل صليبه ونتبعه لننال بوساطته الحياة الأبدية ٠ وهذا ما يقصده الرسول بولس بقوله : « عيشوا كما يحق لانجيل المسيح » وقد عبَّر الرسول عن ذلك في موضوع آخر بعبارة أخرى حيث قال عن نفسه « مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ » ( غل ٢ : ٢٠ ) ٠ من هنا نعلم أن المسيحي الحقيقي ليس من ولد مسيحياً ، أو

آمن فقط بالمسيح ، واعتمد باسمه ، بل هو من يحيا في المسيح، بعد أن يكون قد صلب ذاته مع المسيح وتغيَّر الى الطبيعة الالهية ، وصار شريكاً للطبيعة السماوية ، فيحيا المسيح فيه ، ويصيِّره مسيحاً صغيراً · وهذا ما عناه أهل أنطاكية لما سمَّوا تلاميذ الرب مسيحيين ( أع ١١ : ٢٦ ) هزءاً وسخرية ، فقد كان أتباع المسيح ، بخلاف الوثنيين واليهود ، ودعاء متواضعين. محبين حتى لأعدائهم ، صادقين بمعاملتهم للناس ، مخلصين لوطنهم ، بل مثالاً للمواطنين الصالحين ، وأخيراً متصفين بصفات الانسان الذي دعاه الرسول بولس « انسان الله » الذي يجب أن يكون « كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تي ٣:١٧). فالمؤمنون الذين يعيشون كما يحق لانجيل المسيح هم الذين قبلوا المسيح ، « فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله للذين يؤمنون باسمه ، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » ( يو ١ : ١٢ و ١٣ ) · الذين ينكرون ذواتهم ، ويحيون للمسيح ، ذلك أن حياة المسيح قد صارت بدء حياة المؤمنين به فهو رأسهم ، وهم أعضاء الجسد وكقول الرسول بولس : « نحن أعضاء جسده من لحمه وعظامه » ( اف ٥ : ٣٠ ) « فان سيرتنا نحن هي في السموات » (في ٣:٢٠) فنحن أبناء السماء · وعلينا أن نعرف واجبنا في حياتنا على الأرض ، فنحن سفراء المسيح ، ورسالته المقروءة من الناس ، ورائحته الزكية ، ولذلك في حياتنا القصيرة الشقية على الأرض ، والتي تقرر مصيرنا الأبدي ، علينا أن نعيش كما يحق لانجيل المسيح ، بدراسة قانون ملكوت الله الذي يوضحه الرب في انجيله المقدس · واعلان حياة الرب في حياتنا ، فاذا ما فكرنا ، أو تكلمنا ، أو عملنا أي شيء ، علينا أن نسأل أنفسنا فيما اذا كان المسيح يفعل ذلك لو كان بموقفنا ؟ فنفعل

ما يريده المسيح ، وبعبارة أخرى نقول له لتكن ارادتك لا ارادتنا ·

أجل اننا في دراستنا الانجيل المقدس بروح الصلاة ، والتقوى ، ومخافة الرب ، نكتشف ارادة الرب وتنكشف نفوسنا أمامنا ، فنطبق أعمالنا ، وأقوالنا ، وأفكارنا ، على مقياس حياة المسيح ، فنحيا فيه ويحيا فينا · ونتخطى الأمور النظرية في الدين ، الى الدين العملي ، لأن الايمان بدون أعمال ميت · والمسيح السامري الصالح يريدنا أن نعرف ماهي « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب · فنتفقد اليتامى والأرامل في ضيقتهم ، ونحفظ أنفسنا بلا دنس من العالم » ( يع ١ : ٢٧ ) ·

هكذا كان المسيحيون الحقيقيون في فجر النصرانية شهوداً صادقين للمسيح في حياتهم اليومية ، وبهذه الوسيلة جذبوا الناس فدانوا للرب مؤمنين به ونالوا الحياة ·

أجل ليست هذه الحياة بالمسيح سهلة ، بل تحتاج الى ثبات ، وجهاد ، وصبر ، واحتمال المشقات كجنود صالحين للمسيح ، ويعتبر الانجيل في كل هذه الأحوال العزاء في الضيق، والرجاء عند اليأس· ولا بد للمؤمنين من أن يثبتوا كما يوصينا الرسول بولس بقوله : « أسمع أموركم أنكم تثبتون في روح واحد » ( في ١ : ٢٧ ) · فالمؤمنون الذين يعيشون كما يحق لانجيل المسيح ، لا يتقهقرون ، ولا يهزمون ، ولا يدحرون بل يثبتون في كل الأحوال ، حتى ان الآلام تعتبر لديهم هبة من الله كما قال الرسول بولس أيضاً « لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (في ١:٢٩) ·

كما أن الحياة في المسيح تتطلب « وحدة الروح » فالفرد يتحد بالروح مع المسيح ، ومع جسد المسيح السري الذي هو الكنيسة ، فتكون له شركة بانجيل المسيح ، الأمر الذي شكر الرسول بولس الرب لأجله في بدء رسالته ، والوحدة في المجتمع الواحد • ووحدة الروح في الأسرة الواحدة والبيت الواحد • ونرغب أيها الأحباء ، في هذه العجالة ، في أن نؤكد على وحدة الأسرة • ففي عصرنا هذا أصيبت بعض الأسر المسيحية بالتفكك ، لابتعادها عن المسيح ، فما أجمل أن يكون المسيح سيد الأسرة ورأسها ! • وما أروع أن يحيا أعضاء الأسرة ، كما يحق لانجيل المسيح ، وأن يستنيروا بنور المسيح ، بدراسة كلمة الله الحية والعمل بها • أما اذا أبعد أعضاء الأسرة انجيل المسيح عن دارهم ، فقد أبعدوا النور الكشاف الذي يريهم الرب بل أبعدوا المسيح ، ورحبوا بابليس عدوه وبذلك تسود الرذيلة ويخيم الظلام على تلك الأسرة ويتفاقم الشقاق والخصام بين أعضائها فينقسمون على ذواتهم ، والبيت الذي ينقسم على ذاته يخرب •

وبمناسبة اقبال الصيام الأربعيني ، أيها الأحباء ، نحثكم على القيام بفريضة الصيام المقدس كما حددته القوانين الكنسية ، وبموجب العادة المتبعة ، وأن تقرنوا الصوم بالصلاة والصدقة ، والتوبة والعودة الى الله ، لتعيشوا كما يحق لانجيل المسيح ثابتين على الايمان القويم غير متزعزعين •

كما ندعوكم لدراسة الانجيل المقدس فهو مصدر الخيرات، ومعين البركات الروحية والزمنية ، فالأسرة التي يجتمع أفرادها حول الانجيل المقدس ، يدرسونه بروح الصلاة ، ويعيشونه في حياتهم اليومية ، تملأ السعادة الروحية قلوب

أفرادها ، فيعرفون واجباتهم نحو الله ونحو أنفسهم ، ونحو بعضهم بعضاً ، فتسود المحبة بينهم ، ويكرم الصغير الكبير ، ويعتني الكبير بالصغير • ويحل السلام ، والوئام ، وتبقى أركان الأسرة قوية ثابتة ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً • ولأن روح الله ساكنة فيها ولأنها مؤسسة على صخرة الايمان فلا تقهرها أبواب الهاوية •

فالكتاب المقدس هو أساس التربية الصحيحة الصالحة في الأسرة ، كقول الرسول بولس لتلميذه تيمثاوس : « وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالايمان الذي في المسيح يسوع • كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر • لكي يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » ( ٢ تي ٣ : ١٥ ـ ١٧ ) فانسان الله هذا « في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه • التي تعطي ثمرها في أوانه • وورقها لا يذبل • وكل ما يصنعه ينجح » ( مز ١ : ٢ ) •



# السير مع الله*

« وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأنّ الله أخذه »

( تك ٥ : ٢٤ )

## أيها المؤمنون الأحباء :

ما أسعد المتقين الله ، الحافظين وصاياه ، السالكين في طرقه المستقيمة ، أولئك قوم ينعمون بشركة روحية مع الرب ، كما كان الانسان الأول في فردوس عدن قبل سقوطه بالخطية ·
وما أشقى الانسان في حال المعصية . فهو بعيد عن الله ، هارب من أمام وجهه تعالى ، مختفٍ ، يخاف من الدنو منه ، لأن ذلك يقتضي التناغم والانسجام معه تعالى بالبر والقداسة ، فكراً وقولا وعملا . لذلك قال الكتاب المقدس « اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحدٌ الرب » ( عب ١٢ : ١٤ ) ففي القداسة أرضت نخبة من الناس الله تعالى ، في العهد القديم ، وسموا « بني الله » و « الذرية الصالحة » وكان بينهم رؤساؤهم الذين دعوا « بالآباء البطاركة » وكانوا رؤساء شعبهم وأحباره في آن واحد يرشدون الناس الى عمل الخير والصلاح وينهونهم عن الشر والطلاح ، ويبلّغونهم الوحي الالهي فيسلم السلف للسلف الوعود الالهية ، والنبوات الصادقة عن مجيء ماسيا ، الذين « لم ينالوا المواعيد بل من

---

★ نشرت أولا في المجلة البطريركية العدد ٢٣ لشهر آذار ١٩٨٣ ·

بعيد نظروها وصدّقوها وحيّوها وأقرّوا بأنهم غرباء ونزلاء على هذه الأرض » ( عب ١١ : ١٣ ) ٠

وقد اشتهر من بين هؤلاء الآباء أخنوخ الذي لم يذق الموت لأن الله اختطفه حياً ٠ وجاء عنه في الكتاب المقدس انه « سار مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » ( تك ٥ : ٢٤ ) و « بالايمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله ، اذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله » ٠ ( عب ١١ : ٥ ) ٠ هذا ما امتاز بهأخنوخ عن سائر الناس في جيله ، انه سار مع الله ، أي أرضى الله تعالى ، بسيرته وسريرته ، فكان بشركة تامة معه بصلاة مستمرة ، وتأمل غير منقطع ٠

وجاءت حقيقة انتقال أخنوخ الى السماء حياً ، نفساً وجسداً ، برهاناً قاطعاً ، ناصعاً ، يثبت عقيدة خلود الانسان ، والحياة الأبدية ٠ بل وازعاً للانسان على السير مع الله لكسب السعادة الأبدية ٠ ليكون انسان الله ، في العالمين ، لله وحده ، « فان عشنا فللرب نعيش ، وان متنا فللرب نموت ، فان عشنا وان مُتنا فللرب نحن » ( رو ١٤ : ٨ ) وحياتنا على الأرض لا تثمن بطول مدتها أو بقصرها بل بكيفيتها ومدى قربنا فيها من الله أو بعدنا عنه تعالى ٠ وهي مهما طالت لا بد من أن تنتهي. وطولها لا يدل على رضى الله عنّا كما أن قصرها لا يدل على عدم رضاه تعالى ، فقد رضي الله عن أخنوخ ونقله اليه وكان عمر أخنوخ أقصر من أعمار جميع آبائه ٠ وحياتنا على الأرض على قصرها وما يكتنفها من شقاء وتعب وعناء ، هي ثمينة جداً ، لأنها تقرر مصيرنا الأبدي ، فلنسعَ اذن للحصول على السماء ، فقد دعانا الله لنتبعه حاملين صليبه ، ولكنه لم يعدنا بالراحة في هذه الحياة ، بل بالعكس فقد أظهر لنا بوضوح ان الطريق

المؤدية الى الملكوت صعبة جداً . ولكنها الطريق التي نهجها هو لنا ، ووعدنا أن يكون معنا ، وقد دعي « عمانوئيل » الذي تفسيره الله معنا ( مت ١ : ٢٣ ) و «ان كان الله معنا فمن علينا» ( رو ٨ : ٣١ ) وما أجمل ما قاله صاحب المزامير «أيضاً اذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي (مز ٢٣ : ٤) فالسير مع الله يقينا سهام عدونا ابليس ، بل ينقذنا من الأعداء الخفية والظاهرة كافة ويسيِّج حولنا ، ويحمينا ، ويهبنا النصر والطمأنينة ، وراحة البال والأمان والسلام · لقد سار يوسف الصدّيق مع الله فقيل عنه « ان الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه » ( تك ٣٩ : ٢٣ ) فسر نجاح يوسف في مراحل حياته كلها ، وانقاذه من الشر الذي بيَّته له اخوته حسداً والناس الأردياء استغلالاً ونقمة وحقداً ، أجل ان سر نجاح يوسف ونجاته من التجارب هو تمسك يوسف بناموس الرب واتكاله عليه تعالى أي سيره مع الله · وما أروع قول صاحب المزامير وهو يصف الانسان البار حيث يقول : « طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار ، وفي طريق الخطاة لم يقف ، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس ، لكن في ناموس الرب مَسرّتُه وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلا · فيكون كشجرة مغروسة على مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يَذبُل ، وكل ما يصنعه ينجح » ( مز ١ : ١ ــ ٣ ) · هذا هو الانسان السائر مع الله · السالك في طريق الاستقامة ، الذي يبتعد عن الخطية ويمتنع عن الاثم ، وينكبّ على دراسة كلمة الله لمعرفة ارادته تعالى فيعمل بها ، وينمو بالنعمة ، ويعطي ثمار الروح ·

فَلنقتدِ برجال الله الأبرار ، الذين يلهجون بناموس الرب ليلا ونهاراً ، وقد سروا بأن يكونوا مع الله مواظبين على

الصلاة الفردية والجماعية ، الخاصة والعامة ، لأن مسرتهم بمخاطبة الرب وسماع كلامه تعالى ، وبذلك يسيرون معه ، بل لا يرغبون في شيء في الحياة الا في الرب وهم يخاطبونه مع صاحب المزامير قائلين : « وما أحلى مساكنك يا رب الجنود ، تشتاق بل تتوق نفسي الى ديار الرب ، قلبي ولحمي يهتفان بالاله الحي ··· طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك · طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم » (مز ٨٤: ١و٢و٤و٥) « من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض » (مز ٧٣: ٢٥) وما أبدع صلاة موسى الى الرب حيث يقول : « ان وجدت نعمة في عينيك أيها السيد فليسر السيد في وَسَطِنا » ( خر ٣٤ : ٩ ) « كما قال الله اني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم الهاً وهم يكونون لي شعباً » ( ٢ كو ٦ : ١٦ ) ·

أيها الأحباء : ان الصوم المقدس خير فرصة ذهبية نغتنمها ، ومناسبة ثمينة ننتهزها ، لنجدد عهدنا مع الله فنسير معه تعالى أيام الصيام بل طوال أيام حياتنا · ليكون لنا الهاً ونكون له شعباً ، ولنتمسك بفريضة الصيام كما حددته أمنا الكنيسة المقدسة · ولنقرن الصوم بتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين ، والعودة الى الله بالتوبة النصوح ، والمواظبة على الصلاة الحارة لكي يذلل الرب العقبات التي تعترض طريقنا الروحية ، ويزيل الرب المعوقات التي تشدنا الى الأرض والأرضيات ، وتبعدنا عن السماء والسماويات ، ويقينا شر المعطّلات التي تقسّي قلوبنا وتعمي بصائرنا فنهمل الجانب الروحي من حياتنا · أجل لنقرن صيامنا بالدعاء المستمر لينعم الرب علينا بالمنشطات الروحية التي تساعدنا على مواصلة سيرنا مع الله بالتأمل الدائم بكلمته تعالى ، والاقتداء بالأبرار والأتقياء الذين أرضوه بسيرتهم لنستحق مثلهم الحياة الأبدية ·

# لا تقـــدرون أن تخـدمـوا

# الله والمـال*

**« لا يقدر خادم أن يخدم سيدين لأنه امّا أن يبغض الواحد ويحبّ الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ٠ لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » ( لو ١٦ : ١٣ ) ٠**

بهذه الآية المقدسة ، يقرّع الرب يسوع الكتبة والفريسيين ، ومن نسج على منوالهم ، بمحبة المال والاتكال عليه ٠ ويفضح له المجد مراءاتهم الدنيئة ، وما يبطنونه من نيّات خبيثة ، وهم يحاولون اخفاء عبادتهم للمادة وراء ستار التظاهر بالتدين ، فباؤوا بالفشل الذريع ، اذ انكشفوا ، وانفضحوا فعنّفهم الرب لأنهم يسعون للجمع بين الضدين ، والتوفيق بين النقيضين ، ووبخ الرسول بولس أمثالهم قائلا : « لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب ، وكأس شياطين ، لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب ومائدة شياطين »(١ كو ١٠:٢٢) ٠ فلا يستطيع الانسان أن يقبض على العالمين الزائل والأبدي بيد واحدة ووقت واحد ، ولهذا قال الرب « لا يقدر خادم أن يخدم سيدين ٠٠ لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » ٠ ويقول البشير لوقا « وكان الفريسيون أيضاً يسمعون هذا كلّه ، وهم محبون للمال ، فاستهزأوا به ٠

* نشرت في المجلة البطريركية العدد ٣٣ لشهر آذار ١٩٨٤ ٠

فقال لهم أنتم الذين تبررون أنفسكم قدّام الناس ، ولكن الله يعرف قلوبكم انّ المستعلي عند الناس هو رجسٌ قدام الله » ( لو ١٦ : ١٤ و ١٥ ) ٠

ان الغني الغبي الذي يعبد المال دون الله ، يهتم ليلاً ونهاراً في ابتكار الوسائل الناجعة لجمع المال بطرق مشروعة ومحرّمة ، لأن المال أمله الوحيد في الحياة بل هو كنزه و « حيث يكون كنزكم هناك تكون قلوبكم » ( لو ١٢ : ٣٤ ) قال الرب ٠ لذلك قد وهب الجاهلُ للمال قلبَه ، وفكره ، وارادته ، ومشاعره ٠ وكرّس له ذاته ٠ ويرسم لنا الرب صورة لغني أخصبت كورته ، فبدلاً من أن يشكر ربه على ما أنعم به عليه من خيرات ، وأن يوزع الصدقات على الفقراء والمعوزين ، ويسدد أجور العمال الذين يعملون في حقوله ، ويعطي حقوق الفلاحين الذين يتعبون في حرث الأرض وزرعها وسقيها وحصد الغلات وخزنها وحراستها ولم يأخذوا عن ذلك سوى اليسير اليسير مما يستحقونه من تعبهم الجم ٠ أجل بدلاً من أن يفي ذلك الغني أولئك الناس حقوقهم ويشركهم معه بالخيرات التي كانت ثمرة أتعابهم وعرق جبينهم ، ينسى الغني الغبي الجاهل ، الجانب الانساني ، والجانب الروحي السامي من الحياة ، وينسى آن الزمن هو بيد الله ، ويظن أنه بجمع المال وتكديسه قد أمن الموت ولم يعلم أن نفسه بيد الله تعالى ، فيتكبر الغني الجاهل ويتعجرف ويناجي نفسه قائلاً : « يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة ، فاستريحي وكلي واشربي وتنعمي » ( لو ١٢ : ١٩ ) فيأتيه حكم الله العلي القدير قائلا : « يا جاهل في هذه الليلة تطلب نفسك منك ٠ فهذا الذي أعددته لمن يكون ؟ » ( لو ١٢ : ٢٠ ) ٠

هذه هي الحقيقة الأليمة التي يتجاهلها الانسان الجاهل ، ان كل ما يملكه الانسان في الحياة ، حتى نفسه ، هو من الله ولله وهو أمانة لدى الانسان ومتى شاء الله تعالى استرجع أمانته ·

ولا تنتهي مأساة الغني الغبي عند باب لحده · بل هناك حساب عسير في العالم الآتي ، فالذي لا يحول أطماعه عن الفانية الى الباقية ، والذي لا يستغني بالله . ولا يكنز له كنوزاً في السماء ، يحكم عليه بالعذاب الأبدي · هذا ما نفهمه من مثل الغني ولعازر الذي ضربه لنا الرب يسوع · وفيه رأينا الغني القاسي القلب ، والغليظ الرقبة ، الذي لا يعرف الرحمة ، كما رأينا لعازر الفقير المسكين الذي طُرح عند باب الغني مضروباً بالقروح ، رأينا هذا المشهد في هذه الحياة الزائلة ، ولكن الرب يكشف لنا عن مشهد آخر لهذين الشخصين في الحياة العتيدة الأبدية ، فقد مات لعازر المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ، ومات الغني أيضاً ودفن · « فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر في حضنه فنادى وقال يا أبي ابراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبلَّ طرف أصبعه بماء ويبرّد لساني لأني معذب في هذا اللهيب فقال له ابراهيم يا ابني اذكر انك استوفيت خيراتك في حياتك . وكذلك لعازر البلايا ، والآن هو يتعزّى وأنت تتعذب ··· » ( لو ١٦ : ١٦ ـ ٣١ ) ·

أجل لقد حكم على هذا الغني الغبي بالعذاب الأبدي ، لأنه عبد المال دون الله . وسيحكم على أمثاله كذلك ممن لا يسخرون ما رزقهم الله من مال في خدمة الله والانسان ، ويظنون أن بامكانهم أن يربحوا الدنيا والآخرة وهم يعبدون ربين والرب يحذرنا بقوله : لا تقدرون أن تخدموا سيدين ،

وجاء فعل خدم بالسريانية بمعنى فلح وخدم ، وخضع ، وعبد ، وسجد ، وتجند ، فلا يستطيع الانسان اذن أن يعبد ربين الله والمال ٠

والعبادة هي الايمان بمقدرة المعبود ، والاتكال عليه ، ومحبته من كل القلب ، وكل النفس ، وكل الارادة ٠ وان الهنا اله غيور ، يأمرنا بأن نعبده وحده ولا نشرك به أحداً بقوله : « أنا الرب الهك ٠٠٠ لا تكن لك آلهة أخرى أمامي » ( خر ٢٠ : ٢ و ٣ ) وان محبتنا اياه تدفعنا الى الامتثال بأوامره ، وتجنب نواهيه والاستناد بكل تصرفاتنا الى المبادىء التي وضعها لنا ٠ أما اذا تجاهلنا قدرته تعالى وقوته ، وعدله ورحمته ، ومحبته لنا ، وعنايته بنا ، واتكلنا على المال ، فاننا بذلك نشرك به الهاً آخر ، ونشابه أولئك الذين وصفهم النبي هوشع بقوله : « وفضتهم وذهبهم صنعوا منهما لأنفسهم أوثانا ليهلكوا » ( هوشع ٨ : ٤ ) والرسول بولس يقول : « ان كل زان أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله » ( اف ٥ : ٥ ) « لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي اذ ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » ( ١ تي ٦ : ١٠ ) ٠

فكما أن أصل الشجرة وجذورها تكون عادة خفية في الأرض متشبثة بها ، وتتعمق فيها متوغلة مع تمادي الزمن ، كذلك محبة المال تكمن في أعمق أعماق القلب وتهيمن عليه مع الأيام والسنين وتنشىء بالخفاء سائر الرذائل ويعسر استئصالها لأنها الأصل ، والخطايا كافة فروع لها ٠

ان الرذائل والخطايا التي ترتكب في سبيل الحصول على المال لا تحصى ٠ فمحبة المال تبعد الانسان عن طريق الرب ،

وعن الامتثال بأوامره تعالى ، ومُحِبُّ المال يعبد المال دون الله ، ولا يحفظ يوم الرب طمعا بالحصول على المال ، ويسرق ويزني ويشهد بالزور ويشتهي مال القريب ويأتي الكبائر بأنواعها مسوقاً بمحبة المال ·

فمحبة المال والطمع والجشع دفعت جيحزي ليطلب من نعمان السرياني فضة وثيابا باسم سيده النبي اليشع · وكذب على النبي فدعا النبي عليه بأن يتلبسه ونسله برص نعمان ، وهكذا كان ·

وكانت محبة المال سببا لعمى بصيرة بلعام بن بعور فرأى النور ظلاما ، والحق باطلا ، وأراد أن يلعن من باركهم الرب، فدفع الرب الاتان ، فنطقت موبخة اياه ·

وكانت محبة المال سببا لهلاك يهوذا التلميذ الخائن ، فبعد أن دخل الشيطان قلبه اتفق مع اليهود وباع سيده بثلاثين من الفضة اشترى بها حبلاً وخنق نفسه ·

وأمثال هؤلاء كثيرون في الماضي والحاضر ونهايتهم جميعاً الهلاك ، لأن محبة المال تورط الانسان في سائر الآثام ، لأنها أصل كل الشرور وكقول الحكيم ابن سيراخ « لأن حب الفضة ليس شر منه » ( ١٠ : ١٠ ) ·

جاء مرة الى الرب يسوع شاب غني ( لو ١٨ : ١٨ ــ ٣٠ ) وصف بأنه « رئيس » ولعله كان عضواً في مجلس السنهدريم أو كان رئيس أحد مجامع اليهود · وكان غيوراً يسعى للحصول على ملكوت الله ، لذلك جاء « راكضاً » وجثا للرب يسوع ( مر ١٠ : ١٧ ) وقال له أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية · قال له الرب : « أنت تعرف الوصايا

لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك » · أجاب الشاب وقال هذه كلها حفظتها منذ حداثتي . فنظر اليه يسوع وأحبه وقال له يعوزك شيء واحد ، اذهب بع كل مالك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملاً الصليب · فاغتمّ على القول ، ومضى حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه يابنيّ ما أعسر دخول المتكلين على الأموال الى ملكوت الله ( مر ١٠ : ١٧ ـ ٢٧ ) وقال أيضاً « لأن دخول جمل في ثقب ابرة أيسر من أن يدخُل غنيٌّ الى ملكوت الله · فقال الذين سمعوا ، فمن يستطيع أن يخلص ، فقال : غير المستطاع عند الناس مستطاعٌ عند الله » ( لو ١٨ : ٢٥ ـ ٢٧ ) ·

لقد ادّعى ذلك الشاب بأنه حفظ الوصايا ، لعله حاول ذلك ولكن لم يفلح ، وربما ظن بأنه قد فعل لأنه كانت له صورة التقوى ولكنه منكر قوّتها ( ٢ تي ٣ : ٥ ) · فطلب منه الرب أن يتخلى عن هذه الرذيلة ويتخلص منها بالدواء الناجع الذي هو نكران الذات بقوله له : « بع كل مالك » وحيث انه يطلب الكمال يصف له دواء آخر هو التضحية بقوة : « تعال اتبعني حاملاً الصليب » وهذا هو تكريس النفس لله والتجرد عن الأنانية وطلب الخلاص للعالم أجمع · ولكن ذلك الشاب رغب في أن يعبد ربين ، وأن يربح الفانية والباقية ، ففشل ، وذهب حزيناً لأنه كان ذا مال كثير ، يقول الانجيل المقدس · لذلك قال الرب « ما أعسر دخول المتكلين على المال الى ملكوت السموات » ·

اننا نفهم من عبارة « المتكلين على المال » أن المال بحد ذاته ليس شراً ، واذا حصل عليه الانسان بعرق جبينه بطرق مشروعة ،

قد يكون بركة له ولغيره ، بل أيضاً لامتداد ملكوت الله · وقد يصير سلَّما يصعد عليها الانسان الى السماء · ولكن الاتكال على المال وتفضيله على الأمور الروحية . وعبادته دون الخالق. هذه الأمور تبعد الانسان عن الله ·

ألم يكن ابراهيم أبو الآباء غنياً ، ولكنه كان سخيا كريما يعمل الخير فاستحق أن يستضيف ملائكة ·

ألم يكن أيوب الصدّيق غنيا ولكنه كان تقيا يوزع الصدقات ويعضد الفقير واليتيم والأرملة · حتى استحق أن يحوز على شهادة الرب اذ قال تعالى : « لأنه ليس مثل ( عبدي أيوب ) في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر » (أي ١ : ٨ ) ·

ألم يكن زكا رئيس العشارين غنياً ، ولكن لما دخل الرب الى بيته وقف وقال للرب : « ها أنا يا رب أعطي نصف أموالي للمساكين ، وان كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف ، فقال له يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت لأنه هو أيضا ابن ابراهيم » ( لو ١٩ : ١ ــ ١٠ ) ·

ألم يكن نيقوديموس ويوسف الرامي غنيين ؟ ولكنهما استحقا أن يشتريا المر والأطياب ويكفنا جسد الرب ويدفناه في قبر جديد يخص أحدهما ·

ألم يكن برنابا ــ أحد التلاميذ السبعين ــ غنياً ولكنه باع قريته ووضع ثمنها عند أقدام الرسل لتصرف في سبيل نشر بشارة الخلاص ·

فهؤلاء الأغنياء بالمال الذين كانوا أغنياء بالرب ، والذين استخدموا المال لمجد اسم الرب ، وأمثالهم من الأغنياء الصالحين

المذكورين في الكتاب المقدس والتاريخ الكنسي في الماضي والحاضر استحقوا أن يخدموا الرب بأموالهم ، ويكنزوا لهم كنوزاً في السماء ، حيث لا يفسد سوس ولا ينقب سارقون ويسرقون ، فسجلت أسماؤهم في سفر الحياة ، في السماء ، لأن الرب يسوع لا ينسى أصغر التقدمات حتى فلسي الأرملة ، بل لا ينسى كأس ماء بارد يقدم باسمه أو باسم أحد تلامذته ، الى طفل صغير ·

ولذلك فالرسول بولس يكتب الى تلميذه تيموثاوس قائلاً : « أوص الأغنياء في الدهر الحاضر أنْ لا يستكبروا ولا يُلقوا رجاءهم على غير يقينيّة الغنى بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع · وأن يصنعوا صلاحاً ، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسخياء في العطاء ، كرماء في التوزيع ، مدّخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية » ( ١تي٦:١٧ـ١٩) ·

فهذا ميدان الصيام خير فرصة لنا جميعاً لنمارس الفضائل كافة وخاصة فضيلتي الرحمة والمحبة ، فمحبتنا للقريب خير وازع لنا لتوزيع الصدقات على المحتاجين والمعوزين ، وتفقد الأرملة واليتيم والفقير في ضيقتهم ، وتعشير أموالنا وعضد مشاريع الكنيسة المقدسة ليتمجد اسم الرب القدوس في كل مكان · ولنذكر « أن الصدقة تستر كثرة من الخطايا » ·

فلتكن سيرتكم أيها الأحباء خالية من محبة المال عالمين أن هم الغنى كهم الفقر يخنقان بذرة الانجيل في قلب المؤمن كما يظهر ذلك من مثل الزارع أو البقاع الأربع الذي ضربه الرب يسوع ( مت ١٣ : ٣ و مر ٤ : ٣ و لو ٨ : ٥ ) وبه يظهر لنا الرب استحالة ممارسة الانسان حياتين في آن

واحد ، فيحيا للرب ويعيش لابليس · وعـدم امكانية نمـو الحنطة الجيدة الى جانب الشوك في بقعة أرض واحدة وتربة واحدة فان الشوك أخيراً . كقول الرب ، ينمو فيخنق الحنطة · لأن محبة العالم ، واهتمام الجسد ، عـداوة لله ( يع ٤ : ٤ ، رو ٨ : ٧ ) فلا تتكلوا على المال ، بل ألقوا على الرب همكـم وهو يعولـكم ( مز ٥٥ : ٢٢ ) · ولا يريدنا الرب أن نكـون متواكلين ، كسالى ، بطالين . فان العبد البطـال والكسـلان يلقى في الظلمة الخارجية ، ولكن الرب يريدنا أن نتكل عليه مجتهدين عاملين ساعين للحصول على قوتنا وحاجاتنا في هذه الحياة غير مهملين الروحيات فان « العامل بيد رخوة يفتقـر اما يد المجتهد فتغني » ( أم ١٠ : ٤ ) ·

لترتح قلوبكم اذن لا الى الخيرات الأرضية الزمنية ، بل الى الخيرات السماوية الأبدية ، « واطلبوا ملكوت الله وبـره وهذا كله يزاد لكم » ·

باركـكم الرب الاله وتقبـل صيامـكم ، وصلواتـكم ، وصدقاتكم . ولينعم عليكم بأيام طيبة لتبتهجوا بالاحتفال بعيد قيامته المجيدة بطهر ونقاء ، ورحم موتاكم المؤمنين آمين ·



# المخلّص وعمل الفداء*

**« الله بعدما كلّم الآباء والأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين » ٠**

( عب ١ : ١ و ٢ )

في ذكرى آلام الفادي ، ونحن نقف بخشوع أمام الصليب المقدس متأملين الحدث الجليل الذي وقع قبل ألفين من السنين، خارج المدينة المقدسة ، يدور في خلدنا ألف سؤال وسؤال ، عن سر مأساة الجلجلة ، وفلسفة الصليب المقدس ٠ ومهما بلغنا من السمو العقلي ، والتقدم الفكري ، والرقي الاجتماعي والعلمي ، لا نستطيع أن نسبر غور حقيقة الصليب ، « فان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله ٠ لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء ، وأرفض فهم الفهماء ٠٠٠ لأن اليهود يسألون آية ، واليونانيين يطلبون حكمة ، ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً ، لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة ٠ وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله » ( ١ كو ١ : ١٨ ـ ٢٤ ) ٠ هذه القوة الالهية أعلنت بضعف الصليب ، وهي حصيلة المعركة الطاحنة التي دارت رحاها بين الأرض والسماء قروناً عديدة ، وانتهت

---

★ نشرت أولا في المجلة البطريركية ـ دمشق العدد ٢٣ شهر آذار ١٩٨٣ ٠

بانتصار المحبة الالهية حيث تغلبت الرحمة على العدالة فوق أعالي الجلجلة ، ورضي الاله العظيم أن يموت بالجسد كمغلوب في المعركة لتصير خسارته الظاهرة ربحاً للانسان أبديا ٠

هذا هو سر الصليب الذي أعلنه الله تعالى بالوحي والالهام ، حيث كلم الآباء والأنبياء بأساليب متنوعة ، وطرق كثيرة ، فقد تكلم الله تعالى في البدء فخلق العالم بكلمته ٠ ويبدأ الرسول يوحنا انجيله بقوله : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ٠ هذا كان في البدء عند الله ٠ كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ٠ فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس » ( يو ١ : ١ ــ ٤ ) ٠

وكلم الله الآباء والأنبياء قديماً « بأنواع وطرق كثيرة » بالوحي ، والالهام ، والرؤى ، فضمت أسفار الكتاب المقدس كلامه الالهي ٠ فقد كلم آدم ، ونوحا ( تك ٨ : ٥ و ٩ : ٨ ) وابراهيم ( تك ١٧ : ٣ ) ويعقوب ( تك ٤٦ : ٢ ) وكلم موسى فما الى فم ، وعياناً ، اذ ظهر له مرات عديدة ( عدد ١٢ : ٧ ) فدعي موسى كليم الله ٠ وكشف الرب الأسرار ليوسف عن طريق الأحلام ( تك ٣٧ : ٥ ) وأعلن ارادته لبعض الأنبياء برؤى كان النبي يراها وهو بين يقظان ونائم ( يؤ ٢ : ٢٨ وأع ١٠ : ١٠ و ١١ و رؤ ١ : ١٠ ) ٠

وكان مدار الوحي على النبوات والأسرار ، ومدار الالهام على الأمور التاريخية التي سبق معرفتها قبل أن تعلنها السماء عن طريق الالهام ٠

وقد أنار الوحي عقول الآباء والأنبياء ، وصانهم من الخطل والزلل في تدوينه ، ولكنه لم يغيّر طبيعتهم ، ولم

يستعملهم كالآلات الصماء التي لا حس فيها ولا ادراك ، لذلك فالفيلسوف فيهم دوّن ما كلّمه الله به بلغة الفلاسفة كما فعل النبي أشعيا ، والرسول بولس · والشاعر المرهف الحس ، كالنبي داود ، نظم الشعر الرقيق ممجداً الخالق · والراعي البسيط كالنبي عاموص عبَّر عما أوحي به اليه ببساطة · ومع تفاوت ثقافة هؤلاء الكتبة وأساليب معيشتهم ، والفارق الزمني الذي يفصل الواحد عن الآخر ، فكلهم يشتركون بالتعبير عن حقيقة واحدة وهي اعلان مشيئة الله ومحبته تعالى للبشر ، فهو الذي خلقهم بكلمته الالهية ، وهو يشملهم بعنايته الربانية ، ويرمقهم بعين رحمته · وقد فداهم بتجسد ابنه الحبيب ــ الكلمة ــ يسوع المسيح وبموته وقيامته · وصار المسيح محور الكتاب المقدس ، ومركز الدائرة فيه ، فحوله تدور النبوات والرموز والاشارات المدونة في الأسفار الالهية ·

وقد أورد الانجيليون في الأناجيل الأربعة نبوات عديدة من العهد القديم ، أوحى الله بها الى الأنبياء قبل مجيء السيد المسيح بقرون عديدة ، واستشهد بها الانجيليون على صحة رسالة ماسيا الخلاصية ، وعمل الفداء الذي قام به ، مسلّمين بصدقها واتمامها · ولا غرو فان الفادي نفسه قال لليهود : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي تشهد لي » ( يو ٥ : ٣٩ ) · وقال الرسول بولس : « كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » ( ٢ تي ٣ ١٥ ــ ١٧ ) ·

لقد عرفنا عن طريق الوحي والالهام ما يجب أن نعرفه من الحقائق الالهية عن الله تعالى ، وعن الكون ، والانسان ·

وحدّد الوحي علاقة الخالق بالمخلوق . وعلاقة الانسان بأخيه الانسان ، كما أنزلت الشرائع والنواميس ، وكتبت الوصايا بيد الله ، وتوضحت خاصة محبة الله للانسان ، قبل سقوط الانسان بالخطيئة وبعدها • والطريقة الالهية التي دبَّرت لانتشاله من وهدة الاثم ، واعادته الى رتبة البنين • كما انجلت الصورة الحقيقية لما وراء القبر ، والحياة الأبدية •

فبدراسة كلمة الله يعرف الانسان الحقائق الالهية ويؤمن بها . والأوامر الربانية ويمتثل لها ، والنواهي ويحيد عنها • ولا يكفي أن يقرأ أو يسمع بل عليه أن يصدّق ويؤمن ثم يعمل • فقد كلم الله آدم الانسان الأول ، ولكن آدم شك في صحة كلام الله ، ولم يصدقه • ومن هنا بدأ الخلاف بين الله والانسان • واشتد الصراع بين الخير والشر ، وصار الانسان ضحية غواية ابليس اللعين ، فهوى في وهدة الخطية •

لقد خلق الله الانسان على صورته كشبهه ، ومنحه عقلاً راجحاً يميز بين الحق والباطل ، وضميراً يقظاً يعرف الحلال من الحرام ، وروحا بسيطة هي نسمة منه تعالى وهي كأرواح الملائكة الأطهار ، وجسداً كثيفا جبله من تراب الأرض وهو يشبه أجسام البهائم • ولما شك الانسان بصدق كلام الله ، تجرد من البرّ والقداسة ، فمسخت صورة الله فيه ، وخضع للخطية وحكم عليه بالموت •

ففي فردوس عدن دغدغت الخطية أفكار الانسان ، والخطية هي التعدي على وصاياه تعالى وأوامره ، و « من يفعل الخطية يفعل التعدي » ( ١ يو ٣ : ٤ ) • وكان آدم ممثلاً جنسه البشري كله ، وفي تجربته كان في معرض الربح والخسارة ، فخسر • وهوى اذ أطاع غواية ابليس وسقط معه

الجنس البشري الذي كان بصلبه « من أجل ذلك كما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » ( رو ٥ : ١٢ ) « لأن أجرة الخطية هي الموت » ( رو ٦ : ٢٣ ) من هنا جاء تحذير الله لأبوينا الأولين بقوله : « وأما ثمرُ الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكُلا منه ولا تَمَسَّاه لئلا تموتا » (تك ٣ : ٣) ٠٠٠ فتمردا ٠٠٠ وأكلا من ثمرة تلك الشجرة ٠٠ فحكم عليهما بالموت بأنواعه : ٠٠ الموت الأدبي الذي هو انفصال عن الله تعالى ٠٠ والموت الطبيعي الذي هو انفصال عن الجسد ٠٠ والموت الأبدي الذي هو انفصال أبدي عن الله ٠

وحمي وطيس الغضب الالهي ٠٠ ونحر حمل في الفردوس لاخماد جذوة غضبه تعالى بسفك الدم ، لذلك كتب « وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم ٠ وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة » ( عب ٩ : ٢٢ ) وخاط الله من جلد ذلك الحمل الوديع ثياباً لأبوينا الأولين ليستر عورتهما في الجنة ـ وأعطي الوعد بالخلاص اذ قال للحية : « واضع عداوة بينكِ وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ـ هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » ( تك ٣ : ١٥ ) ههنا نلمح حوادث آلام السيد المسيح التي ابتدأت ساعة ميلاده في بيت لحم وانتهت لما أسلم روحه بيد أبيه على عود الصليب في الجلجلة ٠ فمات بالجسد ، ذبيحة حية عن البشرية ، ومحا صك الخطية ، وبررنا وقدَّسنا وأعادنا الى رتبة البنين ٠ هكذا « كلمنا الله في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين » ٠

لكي يدبر الله خلاصاً كاملا كافياً للجنس البشري الساقط لم تكن هناك واسطة أخرى غير اهراق دم ابنه الحبيب ربنا

يسوع المسيح . حيث ان الآباء والأنبياء الذين كلمهم الله منذ البدء لم يكونوا أهلا للقيام بعمل الفداء لأنهم كانوا تحت الخطية « اذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » ( رو ٣ : ٢٣ ) أما المسيح فهو وحده « لم يرتكب خطية ولم يكن في فمه غش ، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا ، بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية » ( عب ٤ : ٥ ) « لأنه فيما هو قد تألم مجرّباً يقدر أن يعين المجربين » ( عب ٢ : ١٨ ) . وكان الآباء متناهين ، وبما أن الخطية غير متناهية لتوجيهها ضد الله غير المتناهي فاقتضت لها ذبيحة غير متناهية . فجاءت ذبيحة المسيح يسوع الاله المتجسد ، غير المتناهي ، صالحة للتكفير عن خطايا الانسان ولمصالحته مع الله .

أما الذبائح الحيوانية والمحرقات والقرابين التي قدمت في العهد القديم فلم تتمكن من التكفير عن خطايا الانسان لأنها لا تساويه قيمة وثمناً « فلو كان بالكهنوت اللاوي كما اذ الشعب أخذ الناموس عليه ، ماذا كانت الحاجة بعد الى أن يقدم كاهن آخر على رتبة ملكيصادق ولا يقال على رتبة هارون » ( عب ٧ : ١١ ) فلا حمل هابيل ، ولا دم هابيل ، ولا طوفان نوح ، ولا كبش ابراهيم ، ولا دم اسحق لو قُدِّم ، ولا ذبائح اللاويين ومحرقاتهم متفردة ومجتمعة ، صلحت لتكون فدية عن الانسان ، وتحرره من ربقة الخطية ، ولم تكن تلك الذبائح سوى رمز لذبيحة حمل الله الرافع خطايا العالم يسوع المسيح ربنا . وقد استمدت تلك الذبائح قوتها من ذبيحة الصليب التي كانت ترمز اليها . وكان الآباء يقدمون الذبائح على رجاء اتمام المواعيد بمجيء ماسيا حمل الله ، المخلص . قال أشعيا قبل مجيء الرب بخمسة قرون « قولوا لخائفي القلوب تشددوا ،

لا تخافوا ، هوذا الهكم ··· هو يأتي ويخلصكم » (اش ٣٥:٤) فجاء الاله متجسداً ، وهو كلمة الله وابن الله ، الذي به كلمنا الاله الآب اذ جعله وسيطاً للحصول على المغفرة « ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني » ( غل ٤ : ٤ ) وسمي اسمه يسوع أي المخلص ، لأنه يخلص شعبه من خطاياكم ( مت ١ : ٢٢ ) ·

وفيه وحده كملت شروط الذبيحة الكفارية الطاهرة ، التي لا عيب فيها ، والثمينة التي تساوي الاله العظيم الذي تقدم له ، وبني آدم المقدمة عنهم · وهو ولئن صار من جنس آدم ولكنه الاله الحق الذي له دالة لدى الله ليخمد جذوة غضبه تعالى ويقيم الصلح بينه وبين الانسان ·

ويقيم الانجيل المقدس الحجة الدامغة على ألوهة السيد المسيح ، ولاتحاد ناسوته بلاهوته جاز لنا أن ندعوه انساناً كما ندعوه الهاً · ومن الآيات التي تشهد على لاهوته قول الرسول بولس : «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (١تي ٣:١٦) وقول يوحنا « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله··· والكلمة صار جسداً وحل بيننا»(يو١:١و١٤).

كما أن الانجيل المقدس يعلن بوضوح طهر ربنا يسوع المسيح وعصمته من الخطأ ، وقد جاهر الرب أمام أعدائه وأصدقائه قائلاً : « من منكم يبكتني على خطية » (يو٨:٤٦) « لأن رئيس هذا العالم ( أي الشيطان ) يأتي وليس له فيَّ شيء» ( يو ١٤ : ٣ ) · وحتى أعداؤه من اليهود لما أرادوا التخلص منه ولم يجدوا فيه وصمة ، وجهوا اليه تهماً تُعتبر شهادة قوية على سموه الالهي وطهره وكماله حيث قالوا : انه قال

عن نفسه انه ابن الله . وانه معادل لله . وانه ملك اليهود .
وانه يهدم الهيكل ويقيمه في ثلاثة أيام ، كما انه نقض السبت .

وبيلاطس الوالي الأمي أعلن انه لم يجد فيه علة واحدة يستحق بسببها الموت ( يو ١٨ : ٣٨ و ١٩ : ٤ و ٦ ) وغسل بيلاطس يديه قائلاً : « اني بريء من دم هذا البار ، أبصروا أنتم » ( مت ٢٧ : ٢٤ ) فأجاب جميع الشعب ( اليهودي ) وقالوا « دمه علينا وعلى أولادنا » ( مت ٢٧ : ٢٥ ) فأسلم الرب بعدئذ للموت ـ « لأنه ( أي الله ) جعل الذي لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه» (٢كو٥ : ٢١و١بط٢ : ٢٢).
فاستوجب التوفيق بين عدل الله ورحمته ـ واتمام الشريعة القائلة « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » ( عب ٩ : ٢٢ ) أن يقدم المسيح ، باختياره ، نفسه ذبيحة كفارية عن آثام البشرية ، واذ قبل الله هذه الذبيحة كفارة عن خطايا العالم وفق بين عدل الله ورحمته ، وتم قول داود النبي « الرحمة والحق التقيا البر والسلام تلاثما » ( مز ٨٥ : ١٠ ) وقول الرسول بولس : « لأن هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط ، أي العداوة لكي يصالح الاثنين في جسدواحد مع الله بالصليبقاتلا العداوة به» (أف ٢ : ١٤ـ١٦).

والسؤال الذي يواجهنا ههناهو ، هل قَبِلَ السيد المسيح الصلب والموت اختيارياً ؟ وهل من العدالة أن يخطىء آدم ويصلب المسيح ويموت ؟!

أما الجواب فهو ان الله قد عين منذ البدء طريقة الخلاص ، بموت ابنه الحبيب ، الاله المتجسد ، على الصليب . وان السيد المسيح قَبِلَ الموت ، موت الصليب ، اختيارياً ، لذلك

قال عن نفسه « لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضا ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي ، لي سلطان أن أضعها ، ولي سلطان أن آخذها أيضاً » ( يو ١٠ : ١٧ و ١٨ ) فهو تعالى حباً بنا قدّم نفسه فديـة عنا ووفى العدل الالهـي حقه « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » ( يو ١٥ : ١٣ ) وهكـذا ناب السـيد المسيح عنـا باحتمال القصاص « اذ صار لعنـة لأجلنـا » ( غل ٣ : ١٣ ) وبذلك لا يكون هو مستحقاً الموت بل اذ قد وضع نفسه موضع الاثمة مات عنهم طوعاً بحسب الطريقة التي عيَّنها الله لخلاص البشـرية ٠

وقد صرح السيد المسيح بأن الغاية من مجيئه الى العالم هي أن يقدم نفسه فدية عن الخراف ، وقد تنبأ عن موته قائلاً للتلاميذ « انه ينبغي أن يذهب الى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ، وفي اليوم الثـالث يقـوم » ( مت ١٦ : ٢٣ ) وقال أيضـاً : « تعلمون أنه بعـد يومـين يكـون الفصـح وابن الانسـان يُسـلَّم ليصلـب » ( مت ٢٦ : ٢ ) وكان قد شبه صلبه وموته ودفنه وقيامته بالحية النحاسية التي رفعها موسى في البريـة ( يو ٣ : ١٤ ـ ١٦ ) وبحادثة يونان النبي في بطن الحوت ( مت ١٢ : ٣٨ ـ ٤٠ ) وبنقض الهيكل واقامته في ثلاثة أيام ( يو ٢ : ١٩ ) ٠

وفي الليلة التي أسلِم فيها قال لهم « شـهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم لأني لكم أقول لا آكل منـه بعد حتى يكمل في ملكوت الله » ( لو ٢٢ : ١٥ و ١٦ ) « وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً : هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم ، اصنعوا هذا لذكري وكذلك الكأس أيضاً ، بعد العشاء

قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم » ( لو ٢٢ : ١٩ ) · كما أنبأهم عن خيانة يهوذا الاسخريوطي ، ونكران بطرس ·

وفي الجشيماني قال لهم : « هوذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم الى أيدي الخطاة» ( مت ٢١ : ٤٥ ) وقال لبطرس لما أراد هذا أن يدافع عنه « اجعل سيفك في الغمد · الكأس التي أعطاني الآب الا أشربها » ( يو ١٨ : ١١ ) ·

وهكذا أسلم الرب يسوع نفسه بيد أعدائه ··· فحكموا عليه بالموت صلباً ·· وبعدما استهزأوا به ، وأشبعوه ضرباً وجلداً وتعييراً ··· علـّقوه على العود ··· وأسلم روحه بيد أبيه ··· ومات ··· أجل مات الاله بالجسد · ويقول مار اسحق السرياني ما تعريبه : « هذا هو فخر الكنيسة ، ان الاله مات على الصليب » فموته هذا كان ضرورياً ، اذ كفـّر به عن خطايانا ومنحنا الحياة ، لذلك يعتبر مجداً وفخراً ··· وقد عقب الموت. والدفن. قيامته في اليوم الثالث. وتلك القيامة برهنت على قبول الله الآب الكفـّارة التي عملها ابنه الوحيد ، الذي بقيامته أقام الجنس البشري من كبوته ، وأصعده معه الى السماء ·

هذه خلاصة عمل الفداء ، كما أعلنها لنا الوحي الالهي ودوّنها كتبة أسفار الكتاب المقدس الذين وضحوا لنا كيف كلمنا الله بابنه الحبيب ··· « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » ( يو ٣ : ١٦ ) · فلنسترشد بالكتاب المقدس كلمة الله ولنثق بوعوده ، ولنبتعد عن الخطية التي سببت صلب ابن الله الحي في سبيل فدائنا ، ولنؤمن بالمسيح يسوع

المصلوب لأجلنا مفتخرين بصليبه لأنه قوة الله ، وكما كلّمنا الله الآب به نكلم الله الآب بوساطته ، فقد قال « أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي الى الأب الا بي » ( يو ١٤ : ٦ ) و « لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » ( يو ١٥ : ٥ ) و « ان سألتم شيئاً باسمي فاني أفعله » ( يو ١٤ : ١٤ ) « أنا الرب متكلمٌ بالصدق مخبرٌ بالاستقامة » ( اش ٤٥ : ١٩ ) ٠

في البدء شك الانسان بصدق كلام الله واتبع ضلالة ابليس فسقط ، وفي ملء الزمان جاء الفادي وخلص الانسان . فعلى من يريد الثبات في الخلاص أن يصدّق كلام الله ويسلّم به ويقبل طريقة الخلاص التي دبّرها تعالى ويرفض كل ما يشككه فيها « ليكن الله صادقاً وكل انسان كاذباً » (رو ٣:٤)٠

فلنؤمن بالفادي يسوع المسيح الذي احتمل الآلام ، وأطاع حتى الموت ، موت الصليب ، ليصالحنا مع أبيه ، وقد أعاد الينا الحياة بعد الممات ، والبر والقداسة بعد الخطية ، فأصبحنا في شركة تامة مع الله ، نراه بعين الروح ، ونخاطبه بدالة البنين ٠

* * *

# اختــاروا لأنفســكم من تعبــدون*

« حتى متى تعرجون بين الفرقتين ، ان كان الرب هو الله فاتبعوه ، وان كان البعل فاتبعوه » ٠

( ١ مل ١٨ : ٢١ )

من الحوادث المثيرة في الكتاب المقدس ، ما جرى على جبل الكرمل عام ٩٠٦ ق٠م بين ايليا(١) نبي الله ، وبين أنبياء البعل الوثنيين الذين استأجرتهم ايزابل زوجة الملك آخاب ليكهنوا

---

* نشرت أولا في المجلة البطريركية ـ دمشق العدد ٤ شهر نيسان ١٩٨١ ٠

١ ـ ايليا اسم عبري معناه « الهي يهوه » ترجمة حياته غطت الاصحاحات ١٧ والى ٢٢ من سفر ملوك الأول والاصحاحين الأول والثاني من سفر ملوك الثاني وذكر في سفر المكابين الأول ( ٢ : ٥٧ ) وفي سفر يشوع بن سيراخ ( ٤٨ : ١ ـ ٣ ) وقد صعد الى السماء حيا بمركبة نارية ٠ وقد وردت آخر اشارة الى ايليا في العهد القديم في ( ملا ٤ : ٥ و ٦ ) والتي تتضمن أن الرب سيرسل ايليا النبي قبل يوم الرب العظيم ٠ أما في العهد الجديد فقد ذكر الملاك لزكريا وهو يبشره بميلاد يوحنا المعمدان أن يوحنا سيتقدم المسيح بروح ايليا وقوته ( لو ١ : ١٧ ) وقد صرح الرب يسوع أن ايليا قد جاء في شخص يوحنا المعمدان ( مت ١١ : ١٤ و ١٧ : ١٠ ـ ١٢ ) وقد ظن بعض الناس خطأ أن يسوع نفسه هو ايليا ( مت ١٦ : ١٤ ) ٠ وقد ظهر ايليا وموسى مع الرب يسوع عند التجلي ( لو ٩ : ٢٨ ـ ٣٦ ) ٠ وسيظهر ايليا ثانية على الأرض مع اخنوخ البار عند ظهور رجل الخطية « المسيح الدجال » ليتصديا له ، وقد أشار الى ذلك صاحب الرؤيا ( ١١ : ٣ ) بقوله على لسان الرب : « سأقيم شاهدي فيتنبان ٠٠

للأصنام وينشروا ضلالتهم في القوم الذين كانوا يعبدون الله الاله الحق ٠

وكان النبي ايليا رجلاً جباراً ، نحيل الجسم قويه كما نتصوّره حنطي اللون ، قد أرسل شعر رأسه الغزير على كتفيه ، واختلط بعضه بلحيته ، وقد اتشح بالمسوح المنسوجة من شعر الماعز أو وبر الابل ، وتمنطق بمنطقة من جلد على حقويه (٢ مل ١ : ٨) انه رجل البرية والعراء (١ مل ١٧ : ٥ و ص١٩) الذي لا يعرف الدّجل ، ولم يتدرب على فن المجاملة والمداهنة والمراوغة والكذب والخداع ، اذا نظر أرهب وأرعب فنظراته حادة قاسية ، واذا تكلم فصوته كالرعد المدوّي ، أو كهدير بحر هائج وهو يسلط كلامه كسوط صارم يلهب فيه ظهر الظالمين المتعدين شريعة الرب ، والغامطين حق أخيهم الانسان ٠

كان ايليا نبياً عاملاً لا كاتباً(٢) اجترح المعجزات واستحق أن يصعد حياً الى السماء بمركبة نارية ( ٢ مل ٢ : ١ ـ ١٨ ) ٠ وقد اشتهر بأمور كثيرة جعلته كنبي فريد بين أنبياء العهد القديم غيرة على ناموس الرب ، وقد جذب الشعب الى الناموس ، وحارب عبادة الأوثان ٠ وفي حادثة الكرمل تظهر قوة ايمانه بالرب الاله وشجاعته في مقارعة ابليس وجنده ، فقد عرض على أنبياء البعل امتحاناً مصيرياً صارماً ، وضع فيه معبودهم ( البعل ) على المحك ، وانتهى بالفشل الذريع من جانب ( البعل ) وكهّانه أو أنبيائه الذين انتهوا اجتماعياً وروحياً وجسدياً ٠

---

٢ ـ ذكر في ( ٢ أي ٢١ : ١٢ ـ ١٥ ) أن ايليا كتب رسالة الى يهورام ملك يهوذا فيها ينتقد سلوكه ٠ ولكن ليس لايليا سفر كباقي الأنبياء ٠

كانت عبادة ( البعل ) قد انتشرت بين اليهود ، وان الملك آخاب انساق وراء زوجته ايزابل الصيدونيــة الوثنيــة التي سعت الى نشر عبادة ( البعل ) بين قوم زوجها ، فنسي الشعب الهه الحق ، نسي الشعب أيضاً تاريخــه الديني والمعجـزات الباهرات التي رافقت ذلك التاريخ · فلم يعـد يذكر الله الاله الحق . الذي أخرج آباءه من العبودية الى الحرية ، من الظلمة الى النور بذراع ممدودة · لم يذكر عمـود السـحاب الذي سار أمامه ليلاً ونهاراً · ونسي الضربات القاسية التي أنزلها الله بالمتمردين ·

حقاً ان هؤلاء الأحفاد كأسلافهم الذين كانوا تحت سفح جبل سيناء المدخن بالنار قد تعهدوا بأن يفعلوا كل ما تكلم به الرب ، وبعد ستة أسابيع عبدوا ( العجل الذهبي ) ورقصوا حوله رقصاً خليعاً ·

نسي الشعب وما أسرع نسيانه ! نسي نـعَـم الله وأفضاله وهباته ، نسي أوامره ونواهيه ··· فقد أنزلَ الله على آبائهم وصاياه العشر ، وحذرهم على لسان موسى كليمــه قائــلا : « أنظر ! أنا واضع أمامكم اليوم بــركة ولعنة · البــركة اذا سمعتم وصايا الرب الهكم ··· واللعنة اذا زغتم عن الطــريق التي أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها » ( تث ١١ : ٢٦ و ٣٠ : ١٥ و اش ١ : ١٩ ) **من هنا نعلم أن** للانسان سلطة ذاتية ، فقد خلق حراً ، فهو حر فيما يفعلــه ، وهو مُخيَّر لا مُسيَّر ، فاذا عمل بأوامر الله ، وتمم وصاياه ، وتجنب نواهيه ، نال الحياة ، والا فهو هالك بارادته الحرة ، لا محالة · لأن الرب قد قال « اني لا أُسَرّ بموت الشرير بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » ( حز ٣٣ : ١١ ــ ٢٠ )

وهلاك الشعب ليس من مسرة الرب ولكن بارادة الشعب الحرة حيث عصوا أمر الله وعبدوا ( البعـل ) وتعـدوا وصايا الله الههم وتعاليم أنبيائه . وغدا تاريخ آبائهم لديهم موضوع فخر باطل ، ومصدر كبرياء وعجرفة ، لا ينبوع عبر ودروس روحية وأدبية واجتماعية · فقد انقلبت أعياد الرب الى احتفـالات دنيوية خليعـة ومناسبات أثيمـة ، في الوقت الذي أراد الرب بفرضها تذكيرهم بمـا صنعه تعـالى مع آبائهم من عجـائب ومعجزات وما منحهم من عطايا وهبات وأسبغ عليهم من نِعم وبركات فيبقى عهده أبدياً مع أبنائهم وأحفادهم ويكون لهـم الها ويكونون له شعباً · ولكنهم أهملوا القيم الروحية وتبعوا غوايات أنبياء « البعل » الذين جـاروا الطبيعة ، وانهمكـوا بالملذات الجسدية ، والشهوات الدنيئة باسم الطبيعـة · وفي بيئة فاسدة كهذه وجد أيضـاً أناساً لم يتمكنـوا أن يتخـذوا قراراً نهائياً لاختيار الاله الذي يعبدونه فهم كريشة في مهب الريح لا يستقرون على رأي ، يحبون عبادة البعل الخليعـة ، ويريدون الله أيضاً . و « كرجل ذي رأيين هو متقلقل في جميع طرقه » ( يع ١ : ٨ ) غدوا بأمس الحاجة الى من يهديهم سواء السبيل ، ويقودهـم الى الحق ، ليقـرروا مصيرهـم الأدبي والروحي ، فهم يريدون أن يكونوا مع فرقـة الله ، ولكنهـم ينساقون وراء فرقة عبادة ( البعل ) · وكأني بهـم يحاولون المستحيل بالجمع بين النور والظلام ·

جرى ذلك أيضاً في عهد يشوع بن نون · وكان يشوع قد خلف موسى بقيادة الشعب روحياً وادارياً وعسكرياً فخدم شعبه بتفان ، وقاده الى معرفة الحق · ولما شاخ رأى أن الشعب قد نسي الله وأعماله العظيمة ، ونعمه الكثـيرة عليه ، وحـاد عن عبادته تعالى ومال الى الأصنام الصغيرة التي كانت قد ملأت

المنازل واتكلوا عليها وقدم لها العبادة المنزلية اليومية · لقد حلت الأوثان في قلوب النـــاس مكان الالـــه الحق . وفقـــدوا سيطرتهم على نفوسهم الأمَّارة بالسوء · لذلك جمعهم يشوع ليعظمهم ولينزعوا الآلهة الغريبة من وسطهم ···

كان الاجتماع رهيباً ··· لخص فيه يشوع ما أسبغ الله من نِعم على ذلك الشعب · ووضـــع أمامهم حقيقة لا بد من أن يواجهوها قائلاً :

**« اعبدوا الرب · وان ساء في أعينكم أن تعبدوا الرب ، فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون ··· وأما أنا وبيتي فنعبد الـــرب » ·**

( يش ٢٤ : ١٤ و ١٥ )

فأجاب الشعب : « فنحن أيضاً نعبد الرب لأنه هو الهنا » قال لهم : « أنتم شهود · فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي في وسطكم وأميلوا قلوبكم الى الرب ··· » ( يش ٢٤ : ١٦ـ٢٥)·

كانت مهمة يشوع بن نون أسهل من مهمة النبي ايليا ، لأن وقائع التاريخ العجيب كانت قريبة من شعب يشـــوع ، وكانت عجائب الرب لا تزال على ألسنة الشعب ، أمـــا شعب ايليا فقد كان أغلبه قد نسي الله وأعمال الله وانهمك بعبـــادة ( البعل ) واحتاج الى من يسير أمامه كعمود سحاب منير ينقذه من ظلمة التمرغ بعبادة الجسد ، عبادة البعل · لذلك أرسل الله النبي ايليا ليعلن لآخاب الملك قرار عقاب الرب « بأنه لا يكون باطل" ولا مطر » ( ١ مل ١٧ : ١ ) حتى يتكلم ايليا ، فكان قحط في الأرض ·

وهرب ايليا من أمام وجه آخاب وزوجته ايزابل بعد اعلان هذه النبوة ، واختبأ عند نهر كريث الذي هو مقابل الأردن حيث عالته الغربان بحسب أمر الرب فكانت تأتيه بخبز ولحم صباحاً ومساءً وكان يشرب من النهر ، وعندما جف ماء النهر أرسله الرب الى أرملة في صرفة صيدا حيث كانت يد الرب معه فلم يفرغ من بيت الأرملة كوّار الطحين ولم ينقص كوز الزيت . وهناك أقام ابن الأرملة من الموت .

ولما انقضت مدة القحط والقيظ على ما تنبأ عنها ايليا التقى آخاب الملك ووبخه على عبادته الأصنام وبيَّن له أنها ليست آلهة ولكي يبرهن ايليا على صحة قوله طلب من اخاب أن يجمع الشعب الى جبل الكرمل وأن يحضر معه أنبياء البعل الأربعمائة والخمسين وأنبياء السواري الأربعمائة . فلبى آخاب الطلب . وهكذا رأينا على جبل الكرمل جمهوراً غفيراً من الناس ممن كانوا يعبدون البعل ولكن عبادة الله لم تكن قد زالت بعد من قلوبهم . وبعبارة أخرى كانوا يعرجون على الجانبين ، وبين الفرقتين . ورأينا كهان البعل الوثنيين الذين كانت مهمتهم نشر عبادته ، كما رأينا معهم الملك آخاب فهؤلاء جميعاً ألفوا الفرقة الأولى بالمباراة المصيرية التي جرت على جبل الكرمل . أما الفرقة الثانية فقد مثلها رجل واحد فقط ، هو ايليا النبي الشجاع ، الذي وقف يتحدى ( البعل ) وكهّانه وأنبياءه وعبّاده . ويعلن أن الله هو الاله الحق .

ويظن ايليا أنه لم يبق سواه ممن يعبد الله ولا يشرك به سواه ، ولكنه علم بعدئذ من الرب أنه كان هناك سبعة آلاف شخص لم تجث ركبهم للبعل ( ١ مل ١٩ : ١٨ ) ولكن هل كان هؤلاء موجودين ضمن الشعب على جبل الكرمل في تلك الساعة!

لسنا ندري ، ولكن لا بد من أن ايليا رأى بعينه النبوية تقلب ذلك الشعب ورغبته بالجمع ما بين الله والبعل ٠

وفي الامتحان الذي عرضه على أعدائه ليظهر الفرق الجوهري بين ديانة الله ، وديانة البعل ، والشروط التي أملاها لاعلان الاله الحق ، كان ايليا يعلم علم اليقين بأن الله كان معه ٠ وأن النصر سيكون حليفه لا محالة لذلك نسمعه ينادي بصوت جهوري امتزجت فيه نغمة الحزن والكآبة على جهل ذلك الشعب وضلالته بنغمة القسوة والصرامة لابادة الشر وعبادة الأوثان ٠ فيقول للشعب :

« حتى متى تعرجون بين الفرقتين ،
ان كان الرب هو الله فاتبعوه ،
وان كان البعل فاتبعوه » ( ١ مل ١٨ : ٢١ ) ٠

فلم يجبه الشعب بكلمة ٠ انه شعب بليد ، أغلبه مغلوب على أمره ، يخاف سطوة آخاب وظلم ايزابل ٠ وقد تبع هواه فهوى في الخطية ونسي مخافة الله ٠

ثم تابع ايليا كلامه وهو يقدم شروط الامتحان وبنوده في معرض اكتشاف الاله الحق قائلاً :

« أنا بقيت نبياً للرب وحدي وأنبياء البعل وأربعمائة وخمسون رجلاً ٠

فليعطونا ثورين ،
فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ،
ويقطعوه ويضعوه على الحطب ،
ولكن لا يضعوا ناراً ،

**وأنا أقرّب الثور الآخر وأجعله على الحطب**
**ولكن لا أضـع نـاراً**
**ثم تـدعون باسم آلهتكـم**
**وأنـا أدعـو باسم الرب**
**والاله الذي يجيب بنار فهـو الله » (١مل١٨ : ٢٢ـ٢٤) ٠**

فأجاب الشعب وقالوا : الكلام حسن ٠

وسمح ايليا أن يكون لأنبياء البعل الأولوية فهم الأكثر ، وهو واحد ٠ لذلك فباختياره يفسح لهم المجال ليقوم بتقديـم ذبيحتهم أولاً والشمس قد أشرقت والجو مناسب لاشعال النار، فأخذ أنبياء البعل أحد الثورين وقربوه ، ودعوا باسم البعـل من الصباح الى الظهر ومن الظهر الى المساء قائلين : يا بعـل أجبنا فلم يكن صوت ولا مجيب ٠

ما أرهب ذلك الموقف ! ٠

سمعنا ايليا يستهزىء بهم وهو يقـول : أدعوا بصـوت عالٍ لأنه اله ٠ لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفر أو لعلـه نائم فينتبه ! فكانوا يقرعون الطبول بقوة ، ويهزّون الدفوف بشدة ، ويرقصون بعنف ٠ وضرب الكهّان أجسادهم بسيوف ورماح بحسب عاداتهم بعباداتهم ، وسالت دماؤهم على الأرض ليستميلوا ( البعل ) برؤية الدم فيستجيب لهم ٠٠٠ ولكنهـم باؤوا بالفشل الذريع ، وخسروا المعركـة ، وانكشف البعـل معبوداً باطلاً والهاً كذّاباً ٠ وظهرت حقيقتهم كأنبياء كذبة بل كضالين ومضلين ٠٠

ولما غابت الشمس جاء دور ايليا ٠ فتقدم بثقة وايمان ودعا الشعب ، فتقدموا اليه وبنى مذبحـاً وحفر قناة حـول

المذبح ، ورتب الحطب وقطع الثور ، ووضعـه على الحطب ، وقال صبوا على المحرقة ماء ، وعلى الحطب أيضا فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضاً ماء ...

**وصلى ايليا الى الرب الاله وقال :**
**أيهـا الرب اله ابراهيم واسحق ويعقـوب**
**ليعلم اليـوم أنـك أنت الله**
**وأنـي أنـا عبـدك**
**وبأمرك قـد فعلت كـل هـذه الأمور**
**استجبني يا رب استجبني** ( ١ مل ١٨ : ٣٧ ـ ٤٠ )

فسقطت نار الرب والتهمت المحرقة(٣) والحطب والحجارة والتراب ولحست الميـاه التي في القناة .

فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا :

**الرب هو الله . الرب هو الله .**

فقال لهم ايليا ، امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل" فأمسكوهم فنزل بهم ايليـا الى نهر قيشـون وذبحهم هنـاك ( ١ مل ١٨ : ٤٠ ) ولعل ذلك كان من ضمن شروط الامتحان أو المباراة .

وصلى ايليا الى الرب . فاسودت السماء من كثرة الغيوم وهطل مطر غزير ، ويصف الرسول يعقوب ( ٥ : ١٧ ـ ٢٠ ) النبي ايليا كرجل صلاة وكمثال لمن يهدي الضـالين بقـوله : « كان ايليا انساناً تحت الآلام مثلنا وصلى صلاة أن لا تمطر

---

٣ ـ جرت تلك الحادثة في جبل الكرمل في المكان الذي يدعى اليوم ( المحرقـة ) ( انظر قاموس الكتاب المقدس لنخبة من الأساتذة ـ بيروت ١٩٦٤ ص ٤٤ .

فلم تمطر على الأرض ثلاث سنوات وستة أشهر ، ثم صلى أيضاً فأعطت السماء مطراً وأخرجت الأرض ثمرها . أيها الاخوة ان ضلّ أحد" بينكم عن الحق فردّه أحد" ، ليعلم أن من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه يخلّص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا » حقاً لقد خلّص ايليا نفوساً كثيرة من الموت ... وستر كثرة خطايا شعبه ... وجذب جمهوراً من الناس الى عبادة الاله الحق ... فنادوا : الرب هو الله . الرب هو الله .

ونحن اليوم، وبعد ثلاثة آلاف سنة من حادثة جبل الكرمل، نجتاز امتحاناً متشابهاً وندخل بتجربة مماثلة ، ويطرح علينا السؤال ويقدم لنا عرض المباراة التاريخية : « ان كان الرب هو الله فاتبعوه . وان كان البعل فاتبعوه » .

ان الله هو هو أمس واليوم والى الأبد . الخالق والمدبر، رمز القدرة والمحبة ...

أما ( البعل ) فهو رمز دائم لكل عبادة وثنية ، وهو يمثل كل ما هو ضد الله ، وكل بعد عن الله وعن شريعة الله ، بل كل خروج على طاعته وعصيان وصاياه تعالى . فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون لأنه لا بد من أن يدين الانسان لاله . فهل أنتم تدينون للاله الحق أم قد صنعتم لكم آلهة غريبة ؟ .

ان الهنا غيور جداً ، يريدنا له وحده ، وقد نبهنا قائلاً : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » ( مت ٦ : ٢٤ ) ، الله والادمان على الكحول الهدامة. الله والتمرغ بشهوات الجسد ... والخ . هوذا الرسول يعقوب يصرخ قائلاً : « أيها الزناة والزواني أما تعلمون أن

محبة العالم عداوة لله · فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » ( يع ٤ : ٤ ) ·

لا مجال لنا لنعرّج بين الفرقتين :

اما الله واما الخطية فمهما صغرت هذه الخطية ، ومهما كانت محبوبة لدينا ، علينا أن نستغني عنها ، أن نرفضها ، لأنها تمثل عبادة ( البعل ) ولأنها تجعلنا مع فرقة عباد (البعل) « لأن من أخطأ في واحدة فقد أخطأ في الكل » · وخطية واحدة أبعدت أبوينا الأولين عن الشركة مع الله ···

فلكم الخيار أيها المؤمنون ·

عليكم أن تختاروا واحداً من اثنين : الله أم البعل ، الروح أم الجسد ، النور أم الظلام ، المسيح أم باراباس ؟!

« فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون · أما أنا وبيتي فنعبد الرب » هل سيكون جوابكم « نحن أيضاً نعبد الرب الرب هو الله · الرب هو الله » ؟! اذن ما أسعدكم اذا آمنتم به بلسانكم ، وأحببتموه من كل ارادتكم وفكركم ، وكنتم أعضاء أحياء في جسده المعنوي الذي هو الكنيسة ليعترف بكم أمام ملائكة السماء ( بحسب وعده الالهي ) القائل : « كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الانسان قدام ملائكة الله » ( لو ١٢ : ٩ ) ·

فليكن ايماننا بلا رياء ، بإله الأرض والسماء ، ولنعلن قولاً وفعلا : ان الرب هو الله ، ولنعبده · بالروح والحق لأنه روح ، ليكون الهنا وراعينا ونكون شعبه وغنم رعيته ·

# ثمــار التوبــة والندامــة

# النبي يونــان وصــوم نينــوى*

## شخصية يونان التاريخية :

تعني كلمة يونان في اللغتين السريانية والعبرية ، معنى ( حمامة ) ٠ وقد جاء في التلمود أن يونان ابن أرملة صرفة صيدا الذي أقامه ايليا النبي من الموت(١) وهو بحسب الكتاب المقدس ابن أمتّاي من سبط زبولون(٢) من بلدة جث حافر(٣) الواقعة على بعد ثلاثة أميال من الناصرة(٤) ، وقد تنبأ في أيام الملك يربعام الثاني ابن يؤاش(٥) ٠ وحوالي عــام ٨٦٢ ق٠م دعي من الله للذهاب الى نينوى والمناداة عليها بالتوبة ٠

## ســفر يــونــان :

هو سفر تاريخي كتبه يونان نفسه على الأرجح ، وقــد وضع في عداد الأسفار النبوية لأن ما ورد فيه يرمز الى أمــور

---

★ نشرت في المجلة البطريركية في دمشق العدد ٢ شهر شباط ١٩٨١ ٠

١ ـ ( ١ مل ١٧ : ٩ ) ٠

٢ ـ ( يش ١٩ : ١٠ ـ ١٦ ) ٠

٣ ـ ( يون ١ : ١ و ٢ مل ١٤ : ٢٥ ) وكلمة جث بالعبرية تعني معصرة ٠

٤ ـ قاموس الكتاب المقدس ـ المطبعة الانجيلية ـ بيروت عام ١٩٦٤ ص ١١٢٦ ٠

٥ ـ ( ٢ مل ١٤ : ٢٥ ) ٠

مستقبلية وخاصة قيامة السيد المسيح(٦) • ويتضمن هذا السفر : دعوة الله ليونان بقوله : « قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لأنه صعد شرهم أمامي »(٧) •

وتقع نينوى على الضفة الشرقية من نهر دجلة في شمال العراق وهي اليوم ضمن مدينة الموصل • وكانت قديماً عاصمة الامبراطورية الآشورية ، ويصفها سفر يونان بأنها مدينة عظيمة • محيطها نحو ستين ميلاً • وقد أثبتت الاكتشافات الحديثة اتساعها . واشتهرت بالعلم والفن وحياة البذخ وتمرغ أهلها بالآثام وكانوا يعدون بالآلاف •

## عصيان النبي يونان :

عصى يونان أمر الله تعالى ولم يشأ أن يذهب الى نينوى وينادي عليها بالتوبة ، لئلا تتوب الى الله فيعفو الله عنها ، ويونان يتمنى ابادتها لأن سكانها كانوا أعداء شعبه • لذلك هرب من أمام وجه الله ، ونزل الى يافا ، وأخذ سفينة كانت متجهة الى ترشيش(٨) • ولكن الله كان له بالمرصاد فهيَّج البحر ، وكادت

---

٦ ـ قاموس الكتاب المقدس ـ بيروت ١٩٦٤ ص ١١٢٧ •

٧ ـ ( يون ١ : ١ و ٢ ) •

٨ ـ ترشيش يقال أنها اليوم مدينة قرطاجنة • وكانت تسمى ترتيوس حسب رواية هيرودوت المؤرخ . أما الآن فتسمى بالاسبانية ( كرتهنة ) بمقاطعة مرسية جنوب اسبانيا وشمال افريقيا • ويقال ان مؤسس قرطاجنة التي كانت قبلا ترشيش هو شخص يدعى هيسدروبال ( ٢٢٥ ق•م ) • وانها خرجت على يد القائد الروماني دريك عام ١٥٨٥ م • أمّا الآن فيسكنها ما يقرب من (١١٣١٦٠) نسمة • ( انظر فهرست الموضوعات الكتابية ص ٥٣ و ٦٥٥ وقاموس الكتاب المقدس ج ١ ص ٢١٥ و ٢١٦ والموسوعة العربية الميسرة باشراف الأستاذ شفيق غربال ص ١٣٢٦ ) •

السفينة التي تقله أن تغرق ، أما هو فنزل الى قاعها واضطجع ونام نوماً ثقيلا ، ممثلاً الخاطىء الذي يصر على الخطيئة فيموت ضميره ولا يشعر بتأنيب ، فأيقظه ملاحو السفينة وركابها ليصلي الى الهه كما صلوا هم الى آلهتهم ، لعلهم يرحمون ويهدأ البحر فيخلصون • ثم اقترعوا ليعلموا بسبب من حلت بهم تلك البلية ، فوقعت القرعة على يونان ، فاعترف بذنبه وقال لهم : « خذوني وألقوني في البحر فيسكن البحر عنكم فاني عالم أن هذه الزوبعة انما حلت بكم بسببي » ولسان حاله يقول لربه : « الى أين أهرب من وجهك ، والى أين أذهب من روحك ، ان صعدت الى السماء فأنت هناك وان اتخذت لي أجنحة وأقمتها لأسكن في أواخر البحر فان يدك تهديني ويمينك تمسكني »(٩) • وكان ربان السفينة وركابها من الوثنيين الذين لم يعرفوا الاله الحقيقي ومع هذا عرفوا قيمة الانسان ، ولم يشاؤوا أن يهلكوا يونان ، بعكس يونان الذي عرف الاله الحقيقي ولكنه هرب من أمام وجهه ولم يشأ أن يذهب الى نينوى وينادي عليها بالتوبة لئلا تنجح خدمته فيخلص أهل نينوى من الهلاك وهو يريد لهم الهلاك • فتأمل !••• وألقى الملاحون الأمتعة الى البحر لعلهم يخلصون السفينة من الغرق ولكن بدون جدوى لأن البحر كان هائجاً جداً والعاصفة هوجاء ، وكادت السفينة تتحطم • فاضطروا أخيراً الى أن يلقوا يونان في البحر حسب طلبه فهدأ هيجان العاصفة حالاً •

---

٩ - ( مز ١٣٩ : ٨ - ١٠ ) •

## يونـــان في جوف الحــوت :

وهيأ الرب حوتاً كبيراً(١٠) ابتلع يونان حياً · لقد أمــر الرب الحوت بابتلاع يونان ولكنه منعه عن أكله فصار الحوت بمثابة ( غواصة ) نقلته من مكان الى آخر ، بل حفظته مــن التهلكة في قعر البحر · فظل في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وبقاؤه حياً طوال هذه المدة في جوف الحوت يعتبر معجزة

---

١٠ـ الحوت أكبر المخلوقات البحرية حجما وهو من الثدييات المائية ، وقد صيد حوت في بحر الشمال عام ١٩٥٣ فكان طوله ٨٤ قدما ، وقلبه بحجم بقرة وحجم رأسه ثمانية أمتار ( أي بحجم ثلث جسمه ) والرأس كغرفة طويلة تتسع لعـديد من الناس ويقرر علماء الحيوان أن بلعوم الحوت ضيق جدا وعلى ذلك لا يمكن له الا ابتلاع أصغر الأطعمة فقط · وحين يفتح فكه يجمع داخل فمه أحجارا أو بشرا وقوارب صيد ويدفع الماء من فتحة في رأسه · ولا يأكل الا صغار الأسماك ويظهر الحوت على سطح الماء كل ٢٠ دقيقة تقريبا للتنفس لأن فتحتي الأنف موجودتان على السطح الأعلى للرأس ولا يوجد في جسم الحوت شعر كما أن هناك بعض الأشواك على وجهه · من ذلك نعلـم أنه كان من الممكن أن يدخـل يونان في بطن الحوت · أما اذا أردنا تحديد الموضع على وجه الخصوص فهـو رأس الحوت الذي يساوي ثلث جسمه وبما أن الحوت يبتلع الأجسام الكبيرة ولا يأكلها بل يأكل صغار الأسماك فقط كما ذكرنا ، فليست معجزة أن يبتلع الحوت يونان لكن المعجزة أن يبقى يونان حيا وهو داخل الحوت ثلاثة أيـام وثلاث ليال ( انظر الكتاب المقدس كتاب كل العصور للأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات العليا في الكنيسة القبطية ص ٢٣ : ٢٧ وكتاب النور الباهر للقس منسي يوحنا ص ٥٩ ومجلة الكرمـة للأستاذ حبيب جرجس السنـة ١٧ ص ٤٤٧ و ٤٨ ، ويونان النبى كخادم للقمص سيداروس عبد المسيح سيداروس ص ٦١ و ٦٢ عن كتاب علم الحيوان العام لطلبة الجامعات للدكتور محمد رشاد الطوبى وموسوعة الشافعي ص ١٥٩ نشر المكتبة الثقافية سنة ١٩٧٤ ) ·

كسائر المعجزات التي لا تفسر بقواعد طبيعية(١١) وصلى يونان في جوف الحوت الى الرب الاله ، فأمر الرب الحوت فألقى يونان الى البر ، الى الأرض اليابسة ٠

## يونان في نينوى :

وأصدر الرب أمره ليونان قائلاً : « قم انطلق الى نينوى وناد بالتوبة ، فلبى يونان الدعوة وانطلق الى نينوى وأنبأ سكانها بأنها ستخرب في مدة أربعين يوماً ، ما لم يتوبوا ، فأصغوا اليه وآمنوا بكرازته وفرضوا صوماً عاماً للكبار والصغار حتى البهائم ، ولبسوا المسوح وجلسوا على الرماد تائبين نائحين مصلين فصفح الله عنهم(١٢) ٠

## استياء يونان :

اغتاظ يونان بسبب نجاة نينوى من الهلاك وحسب أن الله قد كذّبه في عيون أهلها ، وصلى الى الرب قائلاً : « آه يا رب

---

١١ـ أوردت الجرائد الفرنسية أن جيمس بارتلي أحد رؤساء قوارب الصيد باسكتلندا كان يصيد في البحر ، ورأى الرقيب من أعلى الساري حوتاً يشق عباب البحر فأخذ البحارة يقاتلونه وأخيرا ضربوه بقنبلة فأصابته حتى سالت دماؤه في البحر وصار البحر دما فهاج الحوت وهجم على القارب وحطمه فسبح البحاره في البحر أما جيمس بارتلي فارتفع الى فوق من هول قوة الضربة التي ضرب بها الحوت القارب فسقط في فم الحوت وابتلعه وبعد مدة مات الحوت بفعل القنبلة فجذبه البحارة وشرعوا في تقطيعه وفي أثناء ذلك فتحوا فمه فاذا بجيمس بارتلي يظهر حيا بعد مرور ٣٦ ساعة على ابتلاعه فأسموه يونان الثاني ( انظر يونان النبي كخادم للمقمص سيداروس عبد المسيح سيداروس ـ ص ٦٣ و ٦٤ وقاموس الكتاب المقدس جورج فوست بيروت ١٩٠١ مج ٢ ص ٥٥٧ ٠

١٢ـ وقد خرجت نينوى بعد مائة وخمسين سنة من حادثة يونان ذلك أن أصلها بعد أن تابوا توبة موقتة عادوا الى غيهم ٠ وقد تنبأ عنها ناحوم الذي عاش بعد يونان ( نا ٣ : ١ ) ٠

أليس هذا كلامي اذ كنت بعد في أرضي ، لذلك بادرت الى الهرب الى ترشيش ، لأني علمت أنك اله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر »(١٣) وهذه الكلمات تعتبر مفتاح سفر يونان ، وتبين لنا خوف يونان على كرامته الذاتية وكرامة قومه وكبريائه وهي الأمور التي ساقته الى التمرد على باب الرب الهه ٠ واغتم غماً شديداً واغتاظ كل الغيظ لأن نينوى نجت من الهلاك ٠ لعله خاف أن ينتقل الله الى قوم غير قومه وكأن نعمة الله خاصة بأمة ولا تكفي لأمم الأرض كلها ؟ !

وخرج يونان الى شرقي المدينة وصنع له مظلة ، وجلس تحتها في الظل ، وأنبت الرب يقطينة سرعان ما نمت وارتفعت وظللت يونان من حر الشمس ، ففرح بها ، ثم أعد الرب دودة فضربتها عند طلوع الفجر فيبست ، فحزن يونان لما ضربته أشعة الشمس ، واشتهى الموت لنفسه ، وكأني به يقول في سره : « ان كان لا بد من أن تحيا نينوى فدعني أموت ! ٠ فوبخه الرب بقوله : هل اغتظت بصواب من أجل اليقطينة فقال اغتظت بصواب حتى الموت ٠ فقال الرب أنت أشفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ٠٠٠ أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة ؟ »(١٤) ٠

---

١٣- ( يون ٤ : ٢ ) ٠

١٤- ١٤ ( يون ٤ : ٩ ) ويقصد بالذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم الأطفال الأبرياء ، فاذا كان عدد أطفال نينوى اثنتى عشرة ربوة ( والربوة تساوي عشرة آلاف ) فكم يكون عدد سكان المدينة كلها ؟

## حقيقة قصة يونان :

يشهد السيد المسيح بصحة قصة يونان العجيبة ويعلن أن يونان كان آية لأهل نينوى وما جرى له هو رمز لموت السيد المسيح وقيامته فيقول الرب : « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ • رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان • وهوذا أعظم من يونان ههنا »(١٥) « لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الانسان أيضاً لهذا الجيل »(١٦) •

## صوم نينوى :

اقتداء بأهل نينوى في توبتهم النصوح ، وصومهم الحقيقي الحقيقي المقبول ، وصلاتهم الطاهرة ، الأمور التي استنزلت عليهم مراحم الرب فعفا عنهم ، وتغمد ذنوبهم فقد فرضت الكنيسة على المؤمنين صوماً يعتبر من الأصوام المحببة الى نفوسهم ويدعى صوم نينوى أو ( الباعوثة ) وهذه كلمة سريانية تعني الطلبة والتضرع • ويبدأ صوم نينوى عندنا يوم الاثنين من الأسبوع الثالث السابق للصوم الأربعيني ، وهو اليوم ثلاثة أيام ، نصومها اما انقطاعاً عن الطعام والشراب من فجر الاثنين وحتى مساء الأربعاء أو نتناول طعاماً صياميا وجبة واحدة في اليوم مساءً أو وجبتين ظهراً ومساءً •

---

١٥ـ ( مت ١٢ : ٣٩ ـ ٤١ و ١٦ : ٤ ) •

١٦ـ ( لو ١١ : ٢٩ و ٣٠ ) •

وهذا الصوم قديم في الكنيسة السريانية جداً يستدل على ذلك من ميامر مار أفرام السرياني ( ت ٣٧٣ ) في وصفه · وكان في بادىء الأمر ستة أيام وكان يفرض على المؤمنين في وقت الشدة فقط ثم أصبح ثلاثة أيام(١٧) تصام سنويا · ذلك آنه في القرن السادس أصاب الناس في بلاد فارس والعراق وخاصة منطقة نينوى مرض وبيل يسمى ( الشرعوط ) وهذه لفظة سريانية معناها الطاعون أو الوباء ، وعلامته ظهور ثلاث نقط سوداء في كف الانسان حالما ينظر اليها يموت · فخلت مدن وقرى كثيرة من الناس ، واكترى كسرى أنوشروان رجالاً لدفن الموتى · ففرض رعاة الكنائس في المشرق على المؤمنين صوما لمدة ثلاثة أيام ونادوا باعتكاف ، وتوبة نصوح نسجاً على منوال أهل نينوى وسمي صوم نينوى لأن المؤمنين الذين صاموه أولا كانوا يقطنون في أطراف نينوى(١٨) ·

ويذكر علامتنا مار ديونيسيوس ابن الصليبي (ت ١١٧١) في كتابه أوروعوثو ( المجادلات ) ان واضع صوم نينوى هو القديس مار ماروثا مفريان تكريت ( ت ٦٤٩ ) وانتشر في الكنيسة السريانية شرقاً وغرباً · وقد أخذته الكنيسة القبطية عنها على عهد الأنبا ابرام بن زرعة السرياني الثاني والستين من عدد باباوات الاسكندرية الذي جلس على كرسي الاسكندرية سنة ٩٦٨ م(١٩) كما اقتبسته الكنيسة الأرمنية وغيرها ·

---

١٧ـ مجلة الحكمة ـ القدسية العدد ١ السنة ٤ (١٩٣٠) ص ٦٢ ـ ٦٤ ·

١٨ـ مجلة المشرق الموصلية السنة الاولى ص ٧٤٦ وكتاب المجدل لعمرو بن متى في ترجمة يوسف الأول المكنى قاثوليقا ( ٥٥٢ ـ ٥٦٧ ) وفي ترجمة خلفه دانيال ( ٥٦٧ ـ ٥٨١ ) ·

١٩ـ الخريدة النفيسة للأسقف ايسيدورس جزء (٢) ص ٢٣٦ ·

## دروس وعبـر :

يتضمن سفر يونان درساً قيِّماً للانسان في كل العصـور ، فمنه نعلم أن الله تعالى هو اله البشر كافة وأنه لم يدع نفسه بدون شاهد حتى لدى الأمـم التي كانت بعيـدة عن ينابيـع الشريعة الالهية المكتوبة ، فهذه الأمم لم تخرج عن دائرة العناية الربانية والرعاية الالهية وقد أعطاها ناموس الضمير . وصار لها بعدئذ نصيب في الميراث بابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح · لأن الله « يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحـق يقبلون » · لأنه اله رحيم · ورسالة الخلاص هذه حملها تلاميذ الرب الى العالم أجمع وبها استطاعوا أن يدحروا العنصريـة اليهودية البغيضة ، وينفتحـوا على العـالم بنور المسـيح ، ويفتحوا أبواب الملكوت ، فجاءت الأمم من المشارق والمغارب واتكأوا في أحضان ابراهيم ، أما بنو الملكوت فطرحوا الـى الظلمة الخارجية ···

وان أهل نينوى بصومهم وتوبتهم أعطوا الكنيسة مثالا ففرضت الصوم على المؤمنين في وقت الشـدة · ليعودوا الـى الرب نادمين تائبين ويتركوا الشـرور ، ويمزقـوا قلوبهـم لا ثيابهم ، وليأخذوا لحياتها من حياةالنبي يونان دروساً خالدة، وعبراً قيمة ، فلا يهربوا من حمـل رسـالة يريـدهم الله أن يحملوها مهما كانت ثقيلة كما فعل يونان ، ولا يحـزنوا اذا ما رأوا الخطاة عائدين الى الله بالتوبة كما اغتم يونان ، بـل أن يسعوا لخلاص نفوسهم وخلاص الناس كل الناس ، مهمـا كان لونهم ولغتهم ، وقوميتهم ، وعقيدتهم الدينية ، وليبتهجوا

مع ملائكة السماء بخاطىء واحد يتوب(٢٠) · والا فان رجال نينوى سيقومون في الدين معهم ويدينونهم لأنهم تابوا بمناداة يونان وها هو المسيح يسوع أعظم من يونان بل هو رب يونان وهو الطبيب السماوي الذي « لم يأت ليدعو أبراراً بل خطاة الى التوبة » فلنسمع صوته الالهي ونطيعه فهو لا يزال ينادي ويقول : « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله · فتوبوا وآمنوا بالانجيل »(٢٠) ·



---

٢٠- ( مر ١ : ١٥ ) ·

# التواضع*

التواضع حياة خفية عميقة يحياها الانسان بين نفسه والله تعالى ، فيها يثمن نفسه على قدر نفسه ، ويدرك عظمة الاله ، فيعترف بفضله تعالى عليه ، مدركاً ان كل ما في الانسان من خير ، وصلاح ، وحسنات ، ومواهب ، انما هو من الله الوهّاب الجواد • فالانسان اذن بدون الله ليس شيئاً بل هو عدم •

من الصعب أن يدرك الانسان هذه الحقائق ، لذلك يعتبر التواضع جهاداً مستمراً ، وحرباً ضروساً لا تعرف الهوادة والمهادنة ، تنشب في قلب الانسان وفكره ، ولا ينتصر فيها الانسان ما لم يتضاءل أمام ربه ، ويقدم له المجد اللائق به تعالى ، فيدحر الكبرياء ويفوز بنعمة التواضع •

ولا يتوقف التواضع على المظاهر الخارجية كبساطة الهيئة ، والألبسة ، والمشية الهادئة ، والصوت الخافت • وغيرها من الأمور التي تعتبر نتيجة حتمية للتواضع ، والتي قد يمارسها أيضاً المتعجرف المتكبر مراءاة • ولكن التواضع يعتمد على دواخل الانسان . أي على نيته وطويته . فتنبع هذه الفضيلة السامية من قلبه الذي هو مصدر الصالحات والطالحات . كما قال السيد المسيح : « الانسان الصالح من الكنز الصالح

---

* نشرت أولا في المجلة البطريركية في دمشق العدد ٢٤ شهر نيسان ١٩٨٣ •

في القلب يخرج الصالحات ، والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور » ( مت ١٢ : ٣٥ ) · وقال أيضاً : « تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب » ( مت ١١ : ١٩ ) ·

وتعد فضيلة التواضع أساس جميع الفضائل المسيحية ومنتهاها ، فكما أن الأرض المنخفضة تمتلىء بالمياه ، كذلك المتواضع يكتنز الفضائل كافة · فهو يؤمن بالله ويترجاه ، كما انه يحبه تعالى من كل قلبه ، ويسبحه ويمجده ، ومهما عمل فانه يعتبر نفسه عبداً بطالاً لأنه انما يقوم بواجبه ويعطي المجد لله تعالى صاحب الفضل وواهب العطايا الصالحة ، لذلك يقول صاحب المزامير : « لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك أعط مجداً » ( مز ١٠٤ : ١ ) ، فالمتواضع لا يسلب الله مجده ، فيزيده الله عطايا سماوية ، ويسبغ عليه الهبات السامية · ويواصل المتواضع الشكر لله ، ليزيده نعماً ·

والمتواضع يحب جميع الناس محبة مجردة ، خالصة لأن قلبه خال من الأنانية ، وهو لا يحسد أحداً ، بل يفرح بخير القريب ، ويتمنى له السعادة كما يتمناها لذاته · فتتجلّى فيه روح التضحية ونكران الذات ·

والمتواضع محب لرؤسائه الروحيين والمدنيين ، ولا يستنكف عن طاعتهم في الحق والصالحات لأنه يعتبر جميع الناس أفضل منه ·

ويصف العلامة مار غريغوريوس ابن العبري التواضع لدى النساك بقوله : «التواضع هو علامة الزهد الحقيقي ودلالة التواضع هي الطاعة ، وللتواضع دلائل أخرى أيضاً كعدم تحرّج المرء اذا جلس في مجتمع ما بمقام أحط من مقام من هو

أصغر منه ، وكذا في أوان الصلاة ، وأن يتصرف ببشاشة مع المساكين والفقراء ، واذا ما دعوه يلبي دعوتهم ، وأن لا يأنف من الاتشاح بالأطمار »(١) . ويقول ايوانيس رئيس الدير : « اذا كانت الكبرياء وحدها دون سائر الآثام قد هوت بالشيطان من العلاء ، فالتواضع بدون بقية الفضائل يصعد الى السماء ». فالتواضع اذن أساس الفضائل كافة . ومما يدعم قولنا هذا مثل الفريسي والعشار ، وفيه يرسم الرب صورتين واضحتين. الأولى للكبرياء ، والثانية للتواضع، فيظهر لنا الفريسي وكأنه يتحلى بالفضائل ، فهو يصوم يومين في الأسبوع ، ويعشر كل أمواله ، ولكن الكبرياء تلبسته فحوّلت الخير فيه الى شر ، اذ بدأ يفخر بأعماله بعجرفة ويعدد حسناته أمام الله بزهو وتشامخ ، ويدين الآخرين قائلاً : « أنا لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ، ولا مثل هذا العشار أصوم مرتين في الأسبوع ، وأعشر كل ما أقتنيه » . وقد دان الرب تشامخ قلب الفريسي ورفض صلاته ، لأن الرب يقول على لسان صاحب المزامير « مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله » ( مز ١٠١ : ٥ ) . أما الصورة الثانية التي يرسمها الرب في المثل فهي لعشار ، وكان العشار ، بحسب ظن الناس ، مجرداً من كل فضيلة ، متورطاً بالكبائر بحكم وظيفته ، ولكن الرب يظهره لنا متواضعاً وتائباً صادقاً يطلب المغفرة بقلب منسحق قائلاً : « اللهم ارحمني أنا الخاطىء » ( لو ١٨ : ١٣ ) فقبلت صلاته ، لأن « ذبائح الله هي روح منكسرة . القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » ( مز ٥١ : ١٧ ) ومدح الرب العشار قائلاً : « أقول لكم بأن هذا نزل الى بيته مُبرَّراً دون

---

١ ـ كتاب الحمامة لابن العبري بالسريانية . عربناه ونشرناه مع النص في بغداد سنة ١٩٧٤ ص ٥٧ و ٥٩ .

ذاك لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » ( لو ١٨ : ١٤ ) ٠

وكما أن التواضع هو أساس الفضائل ، كذلك الكبرياء أصل كل الرذائل ، فهي التي هوت بالشيطان الى درك الخطية بعد أن كان في قمة البر والطهر والنقاء ، وانقلب عدواً لله بعد أن كان في مقدمة الأحباء ٠ كما ضربت الكبرياء أبوينا الأولين آدم وحواء ، فطردا بسببها من فردوس نعيمها ، وحكم عليهما بالشقاء والموت « فقبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح » ( أم ١٦ : ١٨ ) ٠ حقاً ان الكبرياء أم الكبائر ، فقد سببت بلبلة لسان الناس ( تك ١١ : ٩ ) بل ان النبي حزقيال ينسب اليها خراب سادوم بقوله : « هذا كان اثم أختك سدوم الكبرياء » ( حز ١٦ : ٤٩ ) فالكبرياء تسوق الانسان الى التمرد على الله ، فتصم أذنيه عن سماع أوامر الرب ونواهيه ، كما فعلت بالكتبة والفريسيين ورؤساء اليهود الذين قال عنهم الرب يسوع : « لأنهم مبصرون ولا يبصرون ، وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون ، فقد تمت فيهم نبوة آشعيا القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون ٠ لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ، ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم » ( مت ١٣ : ١٣ ـ ١٥ ) ٠ وقد قرعهم الرب ، وشجب عجبهم وكبرياءهم وبكتهم لحبهم « المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي » ( مت ٢٣ : ٧ ) هكذا لا يعرف المتكبرون الاله الحق لأنهم يقيمون من ذواتهم آلهة يعبدونها ، فهم عميان لا يبصرون النور ، بل يبغضون النور لأن أعمالهم شريرة ٠

## الرب يعالج مرض الكبرياء في تلاميذه :

حتى تلاميذ الرب ساورتهم روح الكبرياء الرديئة .
« وداخلهم فكر من عسى أن يكون أعظم فيهم فعلم يسوع فكر قلبهم . وأخذ ولداً وأقامه عنده . وقال لهم ، من قبل هذا الولد باسمي يقبلني . ومن قبلني يقبل الذي أرسلني لأن الأصغر فيكم جميعاً هو يكون عظيماً » ( لو ٩ : ٤٦ ـ ٤٨ ) .

## الرب يسوع المثال الأعظم بالتواضع :

لم يكتف الرب يسوع بتعليمنا التواضع بالشهادةالشفهية، والتعاليم النظرية ، بل قرن كل ذلك بالمثال العملي ، وشهادة الحياة ، وهكذا تجلت في حياته المقدسة الفضائل كافة ، وخاصة فضيلة التواضع ، حتى دعي سر التجسد سر التواضع ، فكان التواضع ميزة حياته على الأرض .

فقد نزل من علياء سمائه وهو الاله القدير ، واتخذ له جسداً من العذراء مريم الفتاة اليتيمة ، الفقيرة ، المتواضعة ، الطاهرة ، القديسة التي فضَّلها على بنات الملوك والأمراء والأغنياء ، وفي غمرة بهجتها الروحية قالت « لأنه نظر الى اتضاع أمته » ( لو ١ : ٤٨ ) .

وفي حياته الخفية التي فيها حجب عن الناس نور لاهوته الباهر وقدرته الفائقة ، ظهر الرب يسوع أمام العالم كفقير محتاج ومسكين ضعيف . فولد في مغارة بسيطة وقُمِّط كطفل فقير مدقع ، ووضع في مذود حقير ، وختن كسائر أطفال قومه ، وهرب الى مصر من وجه عدوه هيرودس وكأنه ضعيف وهو الجبار القدير . وعاش في الناصرة حياة الفقراء الكادحين ،

وكان ينمو بالقامة والنعمة لدى الله والناس وكان خاضعا لأمه العذراء مريم وخطيبها يوسف ، ( لو ٢ : ٥١ ) وعرف كنجار بسيط .

ولما جاء ليعتمد من عبده يوحنا كأحد التائبين ، وهو البار القدوس الذي جرب في كل شيء مثلنا ما عدا الخطية ، تمنع يوحنا من تعميده واعتذر قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي الي ، فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا ان نكمل كل بر ، حينئذ سمح له ( مت ٣ : ١٤ و ١٥ ) .

وأخذه الروح باختياره وسماحه الى البرية فجرّب من ابليس بعدما صام أربعين يوماً وأربعين ليلة ، وجاع ، وانتصر على الشيطان لينصرنا معه عليه .

وكتب عنه أنه كان يجول في الأرض يصنع خيرا . فكان يعلم الناس بعظاته السهلة الفهم ، وكان يصنع المعجزات الباهرة لينقذ البشر من الأمراض الروحية والاجتماعية والجسدية ، بل ايضا أحيا الموتى . وكان ينسب كل هذه الأعمال العظيمة الى أبيه السماوي ويقول : « لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني » ( يو ٦ : ٣٨ ) .

وعاش السيد المسيح كالفقراء المدقعين . ويقول الرسول بولس : « انه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره » ( ٢ كو ٨ : ٩ ) فلم يكن له مكان يستقر فيه حتى قال عن نفسه : « للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار . وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه » ( مت ٨ : ٢٠ ) .

واختار بسطاء العالم تلاميذ له ، لينشروا رسالته الالهية في أقطار المسكونة ، وعاشر الفقراء والضعفاء والمساكين وكل

من اعتبر خاطئاً ومرذولاً في المجتمع ، وقال عن ذلك : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى · لآني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة الى التوبة » ( مت ٩ : ١٢ و ١٣ ) ·

وابتعد عن المناصب الدنيوية ، فلما صنع أعجوبة اشباع الخمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وسمكتين ، ورأى الناس تلك الآية « قالوا ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم ، وأما يسوع فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً الى الجبل وحده » ( يو ٦ : ١٥ ) وهكذا أفلت من بين أيديهم وتوارى عنهم ، واختفى ، لأنه يبتعد عن المجد الدنيوي الباطل ، وان مملكته ليست من هذا العالم ·

ولما أزاح مرة جزءاً ضئيلاً من الستار الذي أخفى وراءه نور مجده الالهي ، فتجلى على الجبل أمام ثلاثة من تلاميذه ، وسمح أن يسمعوا صوت الآب قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا ··· أوصاهم يسوع قائلاً لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأموات » (مت١٧ : ١ـ٨)·

وحتى عند دخوله المدينة المقدسة باستقبال حافل ، ظهر تواضعه واضحاً اذ اختار لمركوبه الجحش والأتان لا الحصان المطهم ·

وقبل آلامه المحيية أعطى تلاميذه أمثولة قيمة بالتواضع ، يصفها يوحنا الانجيلي وصفاً دقيقاً قائلاً : « يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء الى يديه ، وأنه من عند الله خرج والى الله يمضي ، قام عن العشاء ، وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتَّزر بها ثم صب ماء في مغسل ، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان مُتَّزراً بها » ( يو ١٣ : ٣ ـ ٥ ) ·

كان غسل الأقدام من أعمال الخدام ، وقد قام بـه الرب ليتم ما قاله : « ان ابن الانسان لم يأت ليُخـدَم بل لـيَخـدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » ( مت ٢٠ : ٢٨ ) • ومما يلاحظ أن الرب غسل أرجل تلاميذه كافة حتى رجلي يهوذا الخائن ، ذلك أن المتواضع يحب جميع الناس ليس الأصدقاء الأوفياء وحسـب بل أيضاً الأعداء الألداء • وبعد أن غسل أرجلهم قـال لهـم : « أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأنني أنا كذلك ، فان كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأنـي أعطيتكم مثالاً ، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضا • الحق الحق أقول لكم ان ليس عبد أعظم من سيده • ولا رسول أعظـم من مرسـله ، ان علمتـم هذا فطوباكـم ان عملتمـوه » ( يو ١٣ : ١٢ ـ ١٧ ) •

وظهر تواضع الرب جلياً أيضـاً باحتماله بصمت وصبـر جميل التعييرات والتهم الباطلـة الموجهـة اليـه ، من اليهـود ورؤسائهم • كما ظهر تواضعه بنكران الذات والتضحية العظمى، كما قال الرسول بولس « واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » ( في ٢ : ٨ ) •

فاذا كان الرب يسوع قد تواضع هـذا التواضع العميـق فهلا يحملنا تواضعه هذا على التحلي بهذه الفضيلة الساميـة اقتداءً به ، وكيف يجسر من آمن بالمسيح أن يتكبر وهـو يرى الاله المتجسد يتواضع ويطيع حتى المـوت ، موت الصليـب ؟! « فليكن فيكم هذا الفكر ـ فكر التواضع ـ الذي في المسيح يسوع أيضاً » ( في ٢ : ٥ ) •

## التواضع في حياة القديسين :

ان أمثلة التواضع في الكتاب المقدس كثيرة ، فالعديد من آباء العهد القديم اتصفوا بهذه الفضيلة ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، موسى الذي وصف بأنه كان حليماً ، ووديعاً ، متواضعاً ، حتى انه سمع نصيحة قدمها له حموه ( خر ١٨ : ٢٤ ) وجدعون الذي كتب عنه أن رجال الشعب قالوا له : « تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك ٠٠٠ فقال جدعون : « لا أتسلط أنا عليكم ولا يتسلط ابني عليكم ، الرب يتسلط عليكم » ( قض ٨ : ٢٣ ) ٠

أما في العهد الجديد فنرى يوحنا المعمدان وقد التف حوله الشعب وظنوا أنه المسيح ، ولما سئل عن ذلك أعطى شهادته عن الرب بتواضع قائلاً : « ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفُونَه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » ( يو ١ : ٢٦ و ٢٧ ) كما قال أيضاً « ينبغي أن ذلك يزيد وأنا أنقص » ( يو ٣ : ٣٠ ) ٠

ومن أسمى الأمثلة في التواضع السيدة العذراء مريم التي قالت : « ها أنا أمة للرب » و « تعظم نفسي الرب تبتهج روحي بالله مخلصي لأنه نظر الى اتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني لأن القدير صنع بي عظائم ، شتت المستكبرين بأفكار قلوبهم ، أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين » ( لو ١ : ٤٦ ـ ٥٢ ) والآية الأخيرة هي تضمين لما كانت قد قالته حنة والدة صموئيل في العهد القديم التي صلت قائلة : « فرح قلبي بالرب ٠٠٠ لأني قد ابتهجت بخلاصك ٠٠٠ الرب يفقر ويغني ، يضع ويرفع ، يقيم المسكين من التراب ، يرفع الفقير من

المزبلة للجلوس مع الشرفاء ويملكهم كرسي المجد » ( ١ صم ٢ : ١ و ٧ و ٨ ) ٠

ومن أمثلة المتواضعين في العهد الجديد الرسل الأطهار الذين اقتدوا بالرب بتواضعهم ، فقد ذكر عن الرسول بولس أنه استدعى قسوس الكنيسة وقال لهم : « أنتم تعلمون أني أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتني »(أع ٢٠ : ١٩) وقال في موضع آخر « أم أخطأت خطية اذ أذللت نفسي كي ترتفعوا أنتم لأني بشرتكم مجاناً بانجيل الله » ( ٢ كو ١١ : ٧ ) فقد اتضع بولس والرسل كافة لكي يرتفع الشعب وضعفوا لكي يتقوى الشعب بالله ٠ وتم بذلك قول الرب القائل : « ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده » ( مت ١٠ : ٢٤ ) ٠

## البطريرك يحيى مثال التواضع :

ان فضيلة التواضع من الصفات الضرورية التي يليق برعاة الكنيسة أن يتحلوا بها اقتداء براعي الرعاة الرب يسوع ٠ ومن يتصفح تاريخ الكنيسة السريانية يجد دون عناء كثير كيف أن أغلب آبائها الميامين ، ورعاتها الصالحين ، كانوا ودعاء متواضعين ، ومن الحوادث المعبرة التي تصور لنا هذه الحقيقة ما ذكره العلامة الكبير مار غريغوريوس ابن العبري ( + ١٢٨٦ ) في تاريخه الكنسي السرياني عن البطريرك القديس مار ديونيسيوس يحيى الذي انتخب بطريركاً لأنطاكية وجرت حفلة تنصيبه سنة ١٠٣٤ في دير مار ديمط من نواحي قلوديا خلفاً للبطريرك القديس مار يوحنا بن عبدون الذي كان قد انتقل الى جوار ربه في المنفى بعد تحمله المشقات وصنوف العذاب من

نقوفور مطران اليونان في ملطية والملك رومنا في القسطنطينية ·
ولتفادي تدخل القسطنطينية ومنع السريان من اقامة بطريرك جديد ، عجل المطارنة بانتخاب الراهب يحيى وتنصيبه بطريركا دون رضى المفريان مار أثناسيوس الرهاوي · أما اليونان في ملطية فلما علموا أن السريان قد أقاموا لهم بطريركاً جديداً ، استحصلوا أمراً من السلطة المدنية في القسطنطينية بالقاء القبض عليه وارساله اليهم · ففر البطريرك مار ديونيسيوس يحيى الى البلاد التي كانت تحت حكم العرب ليأمن شر حكام القسطنطينية وأذنابهم ، وجاء الى آمد ( ديار بكر ) ، ومنذئذ صارت آمد كرسياً بطريركياً ، وهناك اتشح بثياب راهب بسيط وسافر الى طور عبدين فالموصل حتى وصل الى تكريت مقر كرسي المفريانية · وكان يواظب على الصلاة في الكنيسة التي يصلي فيها المفريان أثناسيوس الرهاوي فاستدعاه المفريان اليه وسأله عن هويته فأظهر البطريرك يحيى كأنه راهب من نواحي جيجان ، رغب في زيارة كنائس المشرق وأديرته · ومكث هناك نحو شهر يخدم المفريان ويقدم الذبيحة الالهية . فأحبه المفريان كثيراً لتواضعه ووداعته ، ولما خلت أبرشية ( باعرباي ) من مطران رغب المفريان في أن يرسمه مطراناً عليها فاعتذر · ولما ألح عليه كثيراً وألزمه بأقسام ثقيلة لا يستطيع بها الا النزول عند رغبته ، اضطر البطريرك أن يفرش له دخلة أمره ويكشف عن باطن حاله وحقيقته ويجاهر بوظيفته قائلاً : انني تلميذكم يحيى الذي أقامه المطارنة المغاربة عليهم بطريركاً بدون رضاكم وقد أتيت لكي تصلوا علي · وتأكد المفريان صحة كلامه وسقط عند قدميه ، وأخذ يقبل يمينه وهو يبكي ويطلب منه الغفران · وألبسه بزة لائقة بمقامه السامي وقدم له الاكرام الواجب ، ثم رافقه الى دير مار كبرئيل في طور عبدين ليلتقي المطران يوحنا

الطور عبديني رئيس المجمع آنذاك الذي هو الآخر لم يكن قد دعي الى مجمع الانتخاب ولم يحضر حفلة رسامة البطريرك . لذلك لم يكن قد اعترف به ولم يناد باسمه ولكنه لما رأى تواضع البطريرك ، هرع لاستقباله وطلب رضاه الأبوي وأخذ منذئذ ينادي باسمه ، بعد ذلك عاد المفريان الى تكريت وعاد البطريرك الى آمد ٠

وهكذا بتواضع القديس البطريرك مار ديونيسيوس يحيى زال الخصام ، وحسم الخلاف ، وأنقذت الكنيسة من انقسام رهيب كاد يصدع جوانبها ٠ فما أجمل التواضع ٠ وما أشهى الثمار التي يجتنيها الفرد والمجتمع منه ! ٠

## ثمار التواضع :

ثمار التواضع سلام مع الله ، وراحة للضمير ، ومحبة لله والقريب ، ذلك أن التواضع يقهر النفس الأمّارة بالسوء ، ويدحر الشيطان اللعين الذي يتلبس الانسان المتعجرف ويهوي به الى أحط الدركات حتى ينكر وجود الله كقول الكتاب : « قال الجاهل في قلبه ليس اله » ( مز ١٤ : ١ ) فالمتكبر يقيم من ذاته صنماً يعبده ٠ أما المتواضع فبتواضعه يغلب ابليس ، بطرده روح العجرفة من قلبه ويثبت في النعمة الالهية وتغفر ذنوبه ويتفجر ينبوع البركات من أعماله ، وتقبل توبته ، وينال رضى الرب الاله ٠ قال يعقوب الرسول : « يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة ٠٠ اتضعوا قدام الرب فيرفعكم » ( يع ٤ : ٦ و ١٠ ) ويقول الرسول بولس « لكن الله الذي يعزّي المتضعين عزّانا » ( ٢ كو ٧ : ٦ ) وقال الرب يسوع : « تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » ( مت ١١ : ٢٩ ) ٠ وقال الرسول بطرس : « تسربلوا بالتواضع

لأن الله يقاوم المستكبرين ، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة » ( ١ بط ٥ : ٥ ) . وقال صاحب الأمثال : « ثواب التواضع ومخافة الرب هو غنى وكرامة وحياة » ( أم ٢٢ : ٤ ) .

## السبل المؤدية الى التواضع :

قال العلامة ابن العبري : « عندما يصاب الانسان بمرض الكبرياء يشفى بمعرفة ذاته . أعني أنه قد خلق أولاً من نطفة نتنة وسيكون بعد وفاته طعاماً قذراً للدود »(٢) .

ومعرفة الانسان ذاته أوصى بها أيضاً الحكماء القدامى . والكتاب المقدس يصف الانسان بقوله « الانسان أشبه نفخة أيامه مثل ظل عابر » ( مز ١٤٤ : ٤ ) « الانسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً » ( أي ١٤ : ١ ) فالانسان كبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل ، ونهايته الموت ، والموت كما يصفه صاحب الجامعة هو أن : « ترجع الروح الى الله باريها ويرجع التراب الى الأرض كما كان » ( جا ١٢ : ٧ ) . يا للعجب ! هل يحق لمن سيعود جسده الى التراب أن يتكبر !؟ .

أما السبيل الثاني المؤدي الى حياة التواضع فهو أن يتأمل الانسان بضعفه البشري وكيف أنه ولئن حاول بلوغ الكمال الأدبي فكراً وقولاً وعملاً ، فهو معرض للسقوط بالخطية . لذلك يقول الرسول بولس : « اذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » ( ١ كو ١٠ : ١٣ ) . لذلك على الانسان أن يتأمل بضعفه البشري ويطلب المغفرة من الله نادماً تائباً توبة صادقة . وبهذا المعنى قال العلامة ابن العبري : « سئل شيخ من الرهبان، ما هو التواضع ؟ فقال انه عمل كبير الهي وطريقة متعبة للجسد، وأن تعد نفسك خاطئاً وأقل الناس كلهم . فقال له الأخ : وكيف

---

٢ ـ كتاب الحمامة ص ٥٩ ف ٤ ب ١ .

أكون أقل الناس ؟ أجابه الشيخ : ذلك بألاّ تنظر الى خطايا غيرك ، بل تنظر الى خطاياك ، كما تسأل الله دائماً أن يرحمك ».
وقال : ان الذي يلوم نفسه في كل شيء فانه يجد رحمة أمام الله الهنا ، ومن دان نفس لا يدان · لا تنس أنك أخطأت حتى ولو انك قد تبت ، بل اجعل النوح وتذكر الخطية اتضاعا لك لكي بالاتضاع تنفي الكبرياء » ولا غرو فان « سبب الكبرياء هو الافتخار ، والحقد ، والحسد . فهذه الرذائل الرديئة تمنع الانسان من أن يتضع لرفيقه وأن يساوي نفسه به »(٣). بتجنب هذه الرذائل يعتبر الانسان نفسه ـ اختيارياً ـ أحقر جميع الناس فيتضع · ولا يكون ذلك بالاتشاح بالألبسة البسيطة ، أو التكلم بصوت خافت ، ولئن كانت هذه وما يماثلها من ممارسات تعد من علامات التواضع العملي · ولكن التواضع الحقيقي هو الهروب من المجد الباطل والصبر على التجارب التي تصادف المرء في حياته كالأمراض ، والعاهات ، واحتمال التعييرات ، والاهانات ، دون تذمر ، فتتحطم الكبرياء في قلب الانسان وفكره ، ويملك التواضع ويصير عادة بل طبيعة ثابتة فيه ·

قال الأنبا باخوميوس أحد النساك العظام : اذا أكرمك انسان فلا يفرح قلبك بل احزن لأن بولس وبرنابا لما أكرمهما الناس مزّقا ثيابهما ، وبطرس وباقي الرسل لما افتروا عليهم وجلدوهم فرحوا لأنهم حسبوا أهلاً لأن يهانوا من أجل الاسم الأعظم . فالتواضع خير سبيل يؤدي بالانسان الى الايمان بالله حيث يحدد الانسان علاقته بربه ويعرف عظمة الخالق ويمجده ويشكره على أفضاله ·

---

٣ ـ الحمامة ص ١٤٩ ف ٩ ب ٢ ·

والسبيل الثالث الذي يؤدي الى حياة التواضع هو التأمل الدائم بتواضع رجال الله الأبرار وقديسيه الأطهار الذين نسجوا على منوال الرب يسوع بتواضعه في تدبيره الالهي على الأرض ، فقد أوصانا أن نقتفي أثره حاملين صليبه ، وأن ننسج على منواله قائلاً : « تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب » ( مت ١١ : ٢٩ ) والرسول بولس يقول : « كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح » ( ١ كو ١١ : ١ ) فقد اقتدى الرسول بولس والآباء القديسون بالرب يسوع كما ذكرنا ، فلنقتد نحن بهم · وكم يظهر ضعفنا واضحاً اذ نقيس أنفسنا بمقياس الرسل والشهداء وآباء الكنيسة القديسين ، واذ نعقد المقارنة بيننا وبين هؤلاء الأبرار ، وبين ما كانوا عليه من تواضع ووداعة ، وما نحن فيه من كبرياء وصلافة ، تنسحق قلوبنا أسى ونندرك كيف اننا بكبريائنا وأنانيتنا ، قد ابتعدنا عن الله ، واننا لا يمكن أن نعود اليه تعالى الا باقرارنا بضعفنا ، وطلبنا منه أن يعين قلة ايماننا مسلمين اليه حياتنا ليقول لنا « قوتي في الضعف تكمل » !

فالى التحلي بالتواضع يدعونا الرب ، التواضع بأفكارنا وعواطفنا ، لنحيا دون تذمر ، ونقبل ما منحنا الرب من عطايا مهما ظهرت بسيطة وقليلة ، لنحيا بالتواضع حياة صلاة وشكر دائم لله على هباته الكثيرة ، حياة توبة وانسحاق القلب لتقبل صلاتنا كما قبلت صلاة العشار · « فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ، ولطفاً ، وتواضعاً ، ووداعة ، وطول أناة » ( كو ٣ : ١٢ ) · « مفتكرين شيئاً واحداً لا شيئاً بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسكم » ( في ٢ : ٢ و ٣ ) · « فمن وضع نفسه · · · فهو الأعظم في ملكوت السموات » ( مت ١٨ : ٤ ) ·

# الصــــلاة الربانيـــــة*

## السيد المسيح يعلمنا الصلاة الربانية :

كثيراً ما كان الرب يسوع له المجد ينفرد بالآب السماوي بصلوات حارة ، ومناجاة طويلة ، في مواضع شتى ، ذكر منها جبل الزيتون ٠ « واذ كان يصلي في موضع(١) لما فرغ قال واحد من تلاميذه : يا رب علمنا أن نصلي كما علَّم يوحنا أيضاً تلاميذه ٠ فقال لهم متى صليتم فقولوا :

**« أبانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك ، كما في السماء كذلك على الأرض٠ أعطنا خبزنا كفافنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا ، كما نحن أيضاً نغفر لمن أخطأ الينا ، ولا تدخلنا في التجربة ، لكن نجنا من الشرير ٠ لأن لك الملك والقوة والمجد ، الى الأبد ٠ آمين »** ( مت ٦ : ٩ ــ ١٣ ولو ١١ : ١ ــ ٤ ) ٠

---

* نشرت أولا في المجلة البطريركية ـ دمشق العددان ٢٨ و ٢٩ لشهري تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٨٣ ٠

١ ـ يقال أن الرب يسوع علم تلاميذه الصلاة الربانية على جبل الزيتون حيث كان بحسب رأي بعضهم يختلي بهم دوماً ٠ وقد شيد سنة ١٨٦٨ م دير في موضع مغارة على جبل الزيتون كتبت على جدرانه الصلاة الربانية على صفحات معدنية باحدى وثلاثين لغة ٠

## التأثير الروحي للصلاة الربانية :

ومنذ أن علم السيد المسيح تلاميذه هذه الصلاة ، والمسيحيون يرفعونها الى الآب السماوي، باسم الابن القدوس، في كل آن وأين ، وكل ظرف وحين ، في السراء والضراء في دور العبادة • وخاصة أثناء الاحتفال بالقداس الالهي أو تلاوة الصلوات الفرضية • كما يصليها المؤمنون في دورهم وأماكن عملهم ، وهم يشعرون بتأثيرها الروحي البالغ في حياتهم ، وقد اختبروا قوتها السامية ومفعولها الايجابي ، ففيها تلبى حاجات النفس والجسد ، وبتلاوتها بخشوع يعبد المؤمنون الاله الحق بالروح والحق ، ويمجدونه تمجيداً ، وينالون منه تعالى طمأنينة النفس وراحة البال ، وسلاماً روحياً ، ونجاة من التجارب الصعبة ، وخلاصاً من ابليس اللعين وجنده الأشرار ، وظفراً بهم جميعاً • وأخيراً يتمتعون بسعادة روحية في الحياة الدنيا ، ويحوزون على رجاء لا يخيب للحياة الأبدية •

ان المؤمن الذي يسكب نفسه أمام الاله الآب بقلب نقي ، وضمير طاهر ، وهو يتلو الصلاة الربانية بخشوع متأملاً معانيها السامية ، تصعد صلاته كبخور قدام الرب (مز ١٤١ : ٢) لأن « طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها » ( يع ٥ : ١٦ ) والصلاة الربانية هي كلمة السر لفتح باب السماء على مصراعيه ، واستجابة الطلبات المقدمة للآب بايمان اتماماً لوعد الرب يسوع القائل « اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم » ( مت ٧ : ٧ ولو ١١ : ٩ ويو ١٦ : ٢٤ ) •

وقد أحب المسيحيون هذه الصلاة ، فنقشوها على ظهر قلوبهم ، ونظموها شعراً، ولحنوها نظماً ونثراً بلغاتها العديدة.

ولهجاتهم التي لا تحصى ، ووقعوها على الآلات الموسيقية ، وهم ينشدونها مترنمين فهي مزمورهم المفضل • وهي الصورة المختصرة جداً التي رسمها الرب لصلواتهم ، والنموذج الذي يقيسون به طلباتهم دائماً •

## الصلاة الربانية علمنا اياها الرب باللغة السريانية :

وقد أنعم الرب علينا نحن السريان ، بأن نرفع صلواتنا اليه تعالى ، باللغة السريانية التي قدسها بلسانه الطاهر ، اذ تكلم بها • فنحن نتلو الصلاة الربانية بذات الألفاظ التي فاه بها الرب يسوع • وقد لحنها آباؤنا منذ القرون الأولى للميلاد ، وننشدها طبقاً للألحان القديمة الشجية التي تبعث في النفس خشوعاً ورهبة •

ولكي يتأمل المؤمنون معاني هذه الصلاة ، فيرفعوها الى الله بقلوب نقية ، ونفوس زكية ، رأينا أن نشرحها ، مستلهمين الروح القدس ومستندين الى تفاسير آبائنا الميامين •

## مقدمة الصلاة الربانية :

تقسم الصلاة الربانية الى مقدمة وسبع طلبات جوهرية وخاتمة • ففي المقدمة نوجه الصلاة الى الآب السماوي قائلين :

« **أبانا الذي في السموات** » ( مت ٦ : ٩ ) :

### ١ ـ أبانا :

بهذه الكلمة نتقدم الى الله بروح البنوة ونخاطبه بدالة البنين وندعوه « أبانا » وحين نستخدم كلمة « أب » لنصف بها الله

تعالى ، نقدم مختصراً للايمان المسيحي لأننا عندما ندعو الله « أبانا » نوضح علاقتنا بالله ، وبأنفسنا وبالقريب . لقد أنعم الرب يسوع علينا لنكون اخوة له وأبناء لأبيه السماوي، لذلك منحنا الحق لندعو أباه « أبانا » واختار هذه الصفة العزيزة مفضلاً اياها على سائر الصفات والأسماء الحسنى التي تطلق على الاله العظيم . ذلك أن لفظة « أب » هي أقدس لفظة يفوه بها الانسان فهل يوجد في الدنيا أعز من الأب على قلوب أولاده ؟ فكم بالحري اذا كان هذا الأب هو الآب الذي في السماء الهنا وخالقنا ورازقنا والمعتني بنا ؟ فما أسمى النعمة التي منحنا اياها الرب بأن يكون الهنا أبانا .

قال الرب يسوع لتلاميذه مرة : « لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده ، لكنني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي » ( يو ١٥ : ١٥ ) . ودعا الفقراء أخوته الأصاغر ( مت ٢٥ : ٤٠ ) كما دعا الرسل اخوته بقوله للمجدلية ، بعد قيامته : « لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد الى أبي ولكن اذهبي الى أخوتي وقولي لهم اني لم أصعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم » ( يو ٢٠ : ١٧ ومت ٢٨ : ١٠ ) . وقال الرسول بولس : « اذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب » ( رو ٨ : ١٥ ) . ويقول الانجيلي يوحنا : « أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاداً أي المؤمنون باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » ( يو ١ : ١٢ و ١٣ ) فبهذا السلطان الذي أعطانا اياه الله يحق لنا أن ندعوه تعالى ( أبانا ) ، كقول الرسول بولس : « ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب ، اذاً لست بعد عبداً بل ابناً وان كنت ابناً

فوارث لله بالمسيح » ( غل ٤ : ٧ و رو ٨ : ١٧ ) · فلسنا أبناء وحسب بل ورثة على حد تعبير الرسول بولس أيضاً القائل : « فان كنتم للمسيح فأنتم اذاً نسل ابراهيم ، وحسب الموعد ورثة » ( غل ٣ : ٢٦ ـ ٢٩ ) ، فنحن ورثة لأبينا السماوي الحي بمشاركتنا الميراث مع ربنا يسوع المسيح ابن الله الحي ·

لقد ولدنا من الله يوم اعتمدنا باسم الثالوث الأقدس ، وحل علينا الروح القدس كما حل على الرب يسوع يوم عماده في نهر الأردن من يوحنا المعمدان · وجاءتنا الشهادة من السماء بأننا أبناء الله ، كما جاءت للرب يسوع بعدما صعد من الماء ، حيث سمع الصوت من السماء قائلا : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » ( مت ٣ : ١٧ ) · هكذا نولد من الماء والروح ولادة ثانية كقول الرب لنيقوديموس : « الحق الحق أقول لك ان كان أحد" لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله · · · ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله · المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح · · · » ( يو ٣ : ٣ ـ ٧ ) ·

وصفة البنوة التي ننالها مجاناً من الله بولادتنا الروحية توجب علينا محبة أبينا السماوي وطاعة أوامره ، وعبادته ، والاتكال عليه ووضع كل رجائنا فيه . وبذلك نكون أولاداً صالحين ·

وهذه الصفة ذاتها تسربلنا بقوة فائقة ، حتى الأبالسة ترتاع وترتعب منا لما تسمعنا ندعو الله « أبانا » وتهرب منا لأنها تعرف بأننا بحماية الله أبينا ورعايته وقد وعدنا الرب يسوع قائلا : «ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك» (لو٢١:١٨).

ما أسعدنا أن ننال صفة القرابة مع الله ، يقول الانجيلي يوحنا : « أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله » ( ١ يو ٣ : ١ ) ٠

فعلينا كأبناء الله أن نكون في شركة مع أبناء الله في بيت الله ، الكنيسة المقدسة ٠ وان ابتعدنا عن بيت الآب ، كالابن الضال ، جعنا وشاركنا الخنازير أكل الخرنوب ٠ فعلينا أن نتوب ونعود اليه تعالى ، والآب ينتظرنا ليعيد الينا خاتم العهد عهد البنوة ، الصفة الثابتة التي لا تسقط ولكنها تتجدد ، فاذا ظننا بأننا سقطنا من هذه الرتبة وفكرنا بأنفسنا بأن نقول للآب مع الابن الضال : « لست مستحقاً أن أكون لك ابناً ، فاجعلني كأحد عبيدك » ، سيضمنا الآب الى صدره الحنون ولا يدعنا نفوه بهذه العبارة القاسية ، بل سيأمر بذبح الكبش المسمن ، ويعيد الينا خاتم العهد ، ويؤكد لنا بنوتنا له ، وأبوته لنا . بقوله : « افرحوا معي لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » ٠ اذن نحن أولاده في كل حال ٠ وصفة البنوة تلازمنا حتى في حال البعد عن بيته الالهي ، على أمل العودة اليه تعالى بالتوبة الصادقة ٠

ونقول ( أبانا ) بصيغة الجمع ، فان الله أبونا جميعاً وهو أبو البشر كافة ، وخاصة المولودين منه بالنعمة ، كما أوصى السيد المسيح قائلاً : « وأنتم جميعاً أخوة ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات»(مت ٢٣:٨و٩). وكأولاد أب واحد محذور علينا التمييز العنصري أو القبلي أو القومي أو الطبقي ، وعلينا أن نتحد بالمحبة ، والله محبة ، ولا يدعوه أحدنا « أبي » بل « أبانا » بصفة الجمع لأننا عائلة واحدة وهو أب واحد لجميعنا ، وروح الأبوة يعظم العلاقة المتبادلة بين أولاده فتسمو روح الاخوة ٠

وان كلمة « أب » عندما تطلق كصفة لله تعالى لا تنقص من مقامه جلّ جلاله • ولكنها تجعل قدرته تعالى وجلاله قريبين منا بحيث نقدر على الاقتراب منه بدالة البنين ، وتعظم المحبة المتبادلة بين هذا الآب السماوي وأولاده وتسمو أيضاً اطاعة هؤلاء له واتكالهم عليه •

**٢ ـ « الذي في السموات » :**

لكي يتميَّز الاله الآب عن سائر الآباء ، ندعوه « أبانا في السموات » أما آباؤنا البشر فهم في الأرض •

ان الله تعالى روح لا يحصره حدّ ، موجود في كل مكان كقوله تعالى : « أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب » ( ار ٢٣ : ٢٤ ) ولكن مقره تعالى في السماء كقول الكتاب عنه : « الساكن في السموات » ( مز ٢ : ٤ ) و « الرب عال فوق كل الأمم • فوق السموات مجده • من مثل الرب الهنا الساكن في الأعالي • الناظر الأسافل في السموات وفي الأرض » ( مز ١١٣ : ٤ ـ ٦ ) و « اليك رفعت عينيَّ يا ساكناً في السموات » ( مز ١٢٣ : ١ ) •

ونصفه بأنه أبونا الذي في السموات ، لتتوجه أفكارنا وأذهاننا وقلوبنا نحو السماء مبتعدين عن الأرضيات ، ولكي نتوق السكنى معه في العلاء كوصية الرسول بولس : « أطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين العظمة » ( كو ٣ : ١ ) •

## الطلبات السبع

**الطلبة الأولى : « ليتقدس اسمك »** ( مت ٦ : ٩ ) :

ان معنى التقديس هو التخصيص والتمييز ، فنحن نميز

اسم الرب عن كل اسم في الكون . فاذا قلنا هذا المكان المقدس ، أي انه يختلف عن سائر الأماكن ، واسم الرب مقدس لأنه فريد عن سائر الأسماء . ولفظة اسم تشير الى طبيعة الفردوشخصيته وقوته . فاسم الرب هو الرب ذاته ، وهذا ما عناه صاحب المزامير بقوله : « ويتكل عليك العارفون اسمك لأنك لم تترك طالبيك يا رب » ( مز ٩ : ١٠ ) و « هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل . أما نحن فاسم الرب الهنا نذكر » ( مز ٢٠ : ٧ ) ويقول الرب يسوع وهو يناجي الآب : « أنا أظهرت اسمك للناس » ( يو ١٧ : ٦ ) كما أمر تلاميذه أن يعمدوا المؤمنين « باسم الآب والابن والروح القدس » ( مت ٢٨ : ١٩ ) فاسم الأقانيم الثلاثة أي قوتهم وسلطانهم هو اسم واحد لأن الثلاثة متساوون بالجوهر . فيقول الرسول بولس عن الرب يسوع : « لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم . لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء وممن على الأرض ومن تحت الأرض » ( في ٢ : ١٠ ) والرب يسوع يقول لتلاميذه : « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » ( مت ١٨ : ٢٠ ) وقال الرسول بطرس وقد امتلأ من الروح القدس وهو يجاوب رؤساء اليهود وشيوخهم وكتبتهم على سؤالهم له وليوحنا « بأية قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا» قال بطرس : « فليكن معلوماًعندجميعكم ... أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات . بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً ... وليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص » ( أع ٤ : ٥ ـ ١٢ ) .

ان اسم الرب يتقدس في السماء ، فالملائكة برتبهم يمجدونه دائماً وقد سمعهم النبي أشعيا ( ٦ : ٣ ) « هذا نادى

ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض » وكقول صاحب المزامير : « قدوس ومهوب" اسمه » ( مز ١١١ : ٩ ) ٠

وبقولنا « ليتقدس اسمك » نسأل الرب أن ينشر اسمه القدوس في العالم أجمع لتمجده الأمم كافة ولئن كلفنا ذلك احتمال المشقات كما قال الرب : « وستكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي » ( مت ١٠ : ١٢ ) ٠

وتقديسنا اسمه القدوس يجري بعبادتنا اياه تعالى بالروح والحق وتمجيده بألسنتنا وأفكارنا وقلوبنا ، وبطاعتنا أوامره الالهية فنتقدس به ، ويتقدس اسمه بأعمالنا ، على حد قوله تعالى : « لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات » ( مت ٥ : ١٦ ) ٠

أما اذا حدنا عن سبله المستقيمة وعصينا أوامره الالهية، فاننا نصير سبباً للتجديف على اسم الهنا كقول الرسول بولس لأهل رومية : «ان اسم الله يجدّف عليه بسببكم بين الأمم ٠٠٠» ( رو ٢ : ٢٤ ) ولذلك يوصينا الرسول بطرس قائلاً : « وان تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكي يكونوا في ما يفترون عليكم كفاعلي شر يمجدون الله في يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها » ( ١ بط ٢ : ١٢ ) وقال أيضا : « بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين في كل سيرة لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس ٠ وان كنتم تدعون أبا الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد فسيروا زمان غربتكم بخوف » ( ١ بط : ١٥ ـ ١٧ ) ٠

## الطلبتـان الثانيـة والثالثـة

**« ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض »** ( مت ٢٦ : ١٠ و ١١ ) :

**١ ـ ليأتِ ملكوتك :**

يعد تأسيس ملكوت الله على الأرض الغاية القصوى من تجسد الالـه ، ولذلك شغل مـركز الدائرة في تعاليـم الرب يسـوع ٠

فقد جاء يوحنا المعمـدان ليهيىء الطريق أمام الفـادي فنادى « توبوا فقد اقترب منكم ملكوت الله » ( مت ٣ : ٢ ) ٠

وجاء الفادي ينادي : « توبوا لأنه قد اقترب منكم ملكوت الله » ( مت ٥ : ١٧ ) و « انه ينبغي لي أن أبشر في المدن الأخَر أيضاً بملكوت الله لأنني لهذا قد أرسلت » ( لو ٤ : ٤٣ ) ٠

ان ملكوت الله مرحلتان ، يقطع المؤمن المرحلة الأولـى منهما على الأرض ليتهيـأ لبدء المرحـلة الثانية الأبديـة في السماء ٠ وقد أسس الرب ملكوته عـلى الأرض ، أي كنيسته المقدسة الحاوية نعمه الالهية ، ووسائل الخلاص للانسـان ، وجعل منها مجتمعاً مقدساً تتم فيه مشيئة الآب السماوي ٠ فالطلبة القائلة : لتكن مشيئتك كمـا في السماء كذلك عـلى الأرض تعني أن تكون الكنيسة المقدسة أي ملكوت الله علـى الأرض مكملة ارادة الله كما يكملها الملائكة في السماء ٠ وقـد دعانا الله الى ملكوته كقول الرسول بولس « الذي دعاكـم الى ملكوته » ( اتس ٢ : ١١ ) ٠ وقال الرب « ها ملكوت الله في داخلكم » ( لو ١٧ : ٢١ ) فقد صرنا أعضاء في هذا الملكوت

الذي هو جسده السري ، وهو رأس الجسد ، اذ غسلنا وطهرنا بدمه الأقدس ونقانا وأقامنا له كنيسة مجيدة لا عيب فيها ٠

وقد شبه الرب ملكوته الالهي على الأرض ، بحبة الخردل التي هي أصغر جميع البذور ، أخذها انسان وزرعها في بستانه فنمت وصارت شجرة كبيرة وتآوت طيور السماء في أغصانها ٠ ( مت ١٣ : ٣١ ولو ١٣ : ١٩ ) ٠

كما شبه الرب ملكوت السموات بخميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع ( مت ١٣ : ٣٣ ولو ١٣ : ٢١ ) وبالشبكة المطروحة في البحر والجامعة انواعا من السمك عديدة فلما امتلأت أصعدوها الى الشاطيء وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية ٠ وأما الأردياء فطرحوها خارجاً ( مت ١٣ : ٤٧ و ٤٨ ) ٠

هكذا أسس الرب ملكوته على الأرض ، وشرح أهدافه الالهية لتلاميذه بأمثال ، حتى انه بعد قيامته وقبل صعوده الى السماء كان يظهر لهم أربعين يوماً « ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » ( أع ١ : ٣ ) ٠

ولما نصلي قائلين : « ليأت ملكوتك » انما نطلب من الرب ليملك على قلوبنا وعقولنا ونتمنى أن نكون في حال القداسة بعيدين عن الخطية التي تبعدنا عن الرب ٠ فنحن هياكل الله ، ( ٢ كو ٦ : ١٦ ) وهياكل الروح القدس ( ١ كو ٦ : ١٩ ) على حد تعبير الرسول بولس ، وفي حال الخطية يهرب الروح منا ، لذلك طلب داود من الرب في مزمور التوبة قائلاً : وروحك القدوس لا تنزعه مني ( مز ٥١ : ١١ ) فاذا كان اليهود قد رفضوا أن يملك المسيح عليهم وقالوا لبيلاطس « ليس لنا

ملك الا قيصر » ( يو ١٩ : ١٥ ) فنحن نطلب أن يكون المسيح مالكاً نفوسنا وأفكارنا ، مهيمناً على قلوبنا ، وأن نكون غنم رعيته ٠

ولما نطلب أيضاً الى الرب قائلين « ليأت ملكوتك » نقصد المرحلة الثانية من هذا الملكوت التي تبدأ بمجيء الرب يسوع ثانية لدينونة العالمين ، وبصلاتنا نتوق الى مجيء هذا اليوم العظيم ، حيث سيأتي الرب يسوع بمجد أبيه مع ملائكته القديسين ، ويملك معه الصالحون في ملكوته السماوي الأبدي٠ هذا ما عناه الرب بقوله لبيلاطس : « مملكتي ليست من هذا العالم » ( يو ١٨ : ٣٦ ) ٠

عندما صعد الرب يسوع الى السماء ، وقف ملاكان بالتلاميذ قائلين : « أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ٠ ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السماء » ( أع ١ : ١١ ) ٠

هذا عزاء تلاميذ الرب ، ان الرب سيأتي ثانية « سيأتي الآتي ولا يبطىء » (عب ١٠ : ٣٧) ، لذلك حيا المؤمنون أحدهم الآخر في فجر المسيحية بالعبارة السريانية « ماران أثا » أي الرب آت ( ١ كو ١٦ : ٢٢ ) ولا تزال الكنيسة حتى اليوم واقفة على أصابع أقدام الانتظار متطلعة الى السماء منتظرة المسيح يسوع آتياً على السحاب ( مت ٢٤ : ٣٠ و مر ١٣ : ٢٦ و لو ٢١ : ٢٧ ) ليقيم الأموات « ونحن الأحياء الباقين سنخطف معه في الجو » على حد قول الرسول بولس ( اتس ٤ : ١٧ ) ٠

هذا ما حدا بيوحنا الحبيب أن يكتب في الفصل الأول من سفر الرؤيا قائلاً : « هوذا يأتي مع السحاب وتنظره كل عين

( رؤ ١ : ٧ ) وينهي سفره بشوقه الى مجيء الرب بقوله : « تعال أيها الرب يسوع » ( رؤ ٢٢ : ٢٠ ) وكأني به يقول « ليأت ملكوتك » لينال الأبرار مكافأتهم ، ليدعوهم الرب الى ملكوته بقوله : « تعالوا يا مباركي آبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » ( مت ٢٥ : ٣٤ ) فقد غلبوا وسينالون الجعالة ، وأكليل المجد الذي أعده الله للغالبين · الذين حافظوا على امتيازات ملكوته على الأرض ، فاستحقوا أن يدخلوا ملكوته في السماء ·

فهل حافظنا على هذه الامتيازات وتمسكنا بقانون ملكوت الله ، بالايمان والأعمال الصالحة واعطاء الثمار التي تليق بالتوبة !؟ لقد حاد اليهود عن جادة الحق لذلك قال لهم الرب : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » ( مت ٢١ : ٤٣ ) · فلنحذر لئلا ينزع الملكوت منا أيضاً ·

وقد أوصانا الرب أن نسهر منتظرين مجيئه ، فنحن لا نعلم متى يأتي ولكنه آت · وعاموص النبي يقول : « استعد للقاء الهك » ( عا ٤ : ١٢ ) · فهل نحن مستعدون ؟!

ما أجمل أن نقرن طلبتنا « ليأت ملكوتك » بطلبة اللص التائب الى الرب يسوع قائلاً « اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك » ( لو ٢٣ : ٤٢ ) ·

لنفحص قلوبنا ونفوسنا لنرى هل نحن مستعدون للقاء الهنا ؟ لقد قال الرب « ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات · بل الذي يفعل ارادة أبي الذي في السموات » ( مت ٧ : ٢١ ) · لذلك نردف طلبة « ليأت ملكوتك » بطلبة :

### ٢ ـ « لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض » :

قال أحدهم « ليست الصلاة محاولة لاخضاع ارادة الله لرغباتنا بل هي دائماً محاولة لاخضاع ارادتنا لمشيئة الله » ٠

ان الله تعالى عليم بخفايا القلوب فهو : «فاحص القلب ومختبر الكلى » ( ار ١٧ : ١٠ ) ، انه خبير بحياتنا ، وعلمه ومعرفته لا حدود لهما ، وهو أدرى بمصالحنا منا ، وهو حكيم ، ومحب ، ويعلم ما يسعدنا ٠ لذلك نطلب اليه أن تكون مشيئته لا مشيئتنا في كل أمورنا ٠ مع انه منحنا الحرية المطلقة التامة في كل تصرفاتنا في الحياة ٠ ونطلب اليه لتكون هذه الحرية مقيدة في حفظ وصاياه الالهية فتتم مشيئته في كل تصرفاتنا ٠

ان طلبتنا « أن تكون مشيئته » نابعة من ثقتنا بمحبته تعالى لنا « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » ( يو ٣ : ١٦ ) « ولكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » ( رو ٥ : ٨ ) ٠

ان مشيئته تعالى اذا عمَّت على الأرض عمَّ السلام ، وملك البر ، وبادت الخطية ٠

اننا لانتمكن من اتمام مشيئة الله ما لم نعرف هذه المشيئة، والسبيل الوحيد الى معرفتها هو المواظبة على دراسة الكتاب المقدس ، فصاحب المزامير يطلب الى الرب قائلا : فهِّمني فأتعلم وصاياك ( مز ١٨ : ٧٣ ) و « علِّمني أحكامك » ( مز ١١٨ : ١٠٨ ) و « أنا عبدك فهمني فأعرف شهاداتك » ( مز ١١٨ : ١٣٥ ) ٠ والرسول بولس يوصينا قائلاً :

« لا تكونوا ناقصي الرأي بل افهموا ما مشيئة الله الصالحة الكاملة » ( اف ٥ : ١٧ ) .

كثيراً ما تستولي علينا أهواء الجسد كقول الرسول بولس «فاني أعلم أن الخير لا يسكن فيَّ أي في جسدي» . (رو ٧:١٨) فاننا نتوق الى عمل الخير ، ولكننا نعمل الشر الذي نبغضه ولا نرغب فيه . ففي طلبتنا الى الله قائلين « لتكن مشيئتك » نود أن نتمم مشيئة الله لا مشيئة الجسد وأن نعمل الخير بقوة الله التي تظهر في ضعفنا .

ان خير مثال لنا بذلك الرب يسوع الذي وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ( في ٥ : ٨ ) بعد أن سلَّم مشيئته بيد أبيه السماوي حيث قال له في بستان الجثسيماني « لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك » ( لو ٢٢ : ٤٢ ) فاذا كنا قد ولدنا « لا من مشيئة رجل بل من الله » ( يو ١ : ١٣ ) لنحيا بحسب مشيئته تعالى مسلِّمين مشيئتنا بيده بنكران الذات ، والتضحية بكل غال ونفيس ، خاصة بالارادة الحرة ، حاملين صليبه ، سائرين وراءه اتماماً لأمره القائل : « من أراد أن يكون لي تلميذاً فليكفر بنفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني» ( مت ١٦ : ٢٠ ) فأول شرط للتلمذة هو طاعة ارادة الله ، وأخيراً تحمّل الآلام في سبيله ، دون تذمر ، ولسان حالنا يقول مع أيوب الصدّيق : « كما حَسُنَ عند الرب هكذا صار فليكن اسمه مباركاً » ( أي ١ : ٢١ ) .

وباتمامنا ارادة الله وتسليمنا ذواتنا بيديه وطلبنا أن تكون مشيئته تعالى ، تتقوى أواصر القرابة بيننا وبينه تعالى طبقا لوعد الرب يسوع القائل : « كل من يفعل ارادة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وآمي » ( مت ١٢ : ٥٠ ) .

فلنقبل ارادة الله بفرح ومحبة وعن اختيار تام ، واثقين بمحبة الله لنا ، وعنايته بنا ، وعدالته ، وقداسته ، ورحمته في معاملتنا « ولتكن مشيئته كما في السماء كذلك على الأرض».

## الطلبة الرابعة

**« خبزنا كفافنا أعطنا اليوم »** ( مت ٦ : ١١ ) :

ان المعنى المباشر لهذه الطلبة هو الغذاء الجسدي اليومي، فالله تعالى رازقنا ومقيتنا ، لذلك نطلب منه خيرات هذه الحياة ونفهم بالخبز ما كان يختص بالأكل والشرب أو غير ذلك من حاجات الجسد · جاء في انجيل لوقا « ان المسيح دخل الى بيت أحد رؤساء الفريسيين ليأكل خبزاً » ( لوقا ١٤ : ١ ) فلفظة خبز هنا تعني كل ما يختص بالقوت · قال صاحب المزامير مناجياً الرب : « اياك تنتظر عيون الجميع فانك أنت الذي ترزقهم طعامهم في حينه » ( مز ١١٤ : ١٥ ) و « الجميع يرجونك لترزقهم أكلهم في أوانه ترزقهم فيلتقطون تبسط يدك فيشبعون خيراً » ( مز ١٠٣ : ٢٧ ) ·

« خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » ·

ويرفع هذه الصلاة الى الله الأغنياء والفقراء · فالفقراء يسألون أن يسد الرب حاجتهم · أما الأغنياء ففي طلبهم من الله خبزهم اليومي ، وهم راتعون في بحبوحة من العيش انما يشكرون الله على نعمه ، ويتواضعون طبقاً لوصية الرسول بولس لهم : « ألا يستكبروا ولا يتكلموا على الغنى غير الثابت بل على الله الحي الذي يؤتينا كل شيء لنتمتع به » ( ١ تي ٦ : ١٧ ) · والغني بهذه الطلبة يأخذ درساً لاتمام

ارادة الله ومساعدة أخيه الفقير خاصة وهو يقول « أعطنا » لا « أعطني » دلالة على الاهتمام بالجميع لا بالذات فقط ، والسعي لخير القريب فيشرك معه الفقراء بالخيرات التي آعطاه الله اياها ٠

قال يوحنا الذهبي الفم : « اننا نطلب ليس فقط أن نعطى القوت بل أيضا أن يجعل الله في الخبز اليومي **قوة** تجدينا سلامة وخلاصاً كي يستفيد الجسد من القوت ، **والجسد يخدم النفس** » ، فكلمة خبز اذن تشمل هنا كل ما يحتاجه الانسان في حياته على الأرض حتى الصحة التامة لتناول الطعام الضروري للجسد ، فقد يكون الطعام متوفراً لكننا لا نستطيع أن نتناوله لانحراف صحتنا ٠

ونحن لا نطلب الأمور الجسدية كأنها غايتنا القصوى ، بل لسد عوزنا ، لنحيا ، ونمجد الله ، طبقاً لوصية الرسول بولس القائل : « فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله » ( ١ كو ١٠ : ٣١ ) ٠

كان الانسان قبل سقوطه بالخطية يحرث الفردوس يأكل من ثمره ، ولما سقط لُعنت الأرض بسببه ، وحكم عليه أن يأكل خبزه بعرق جبينه ( تك ٣ : ١٨ ) ٠ وكم حرث وزرع وانتظر ، ولم يحصد بسبب الآفات أو الكوارث الطبيعية ؟ فعلى الانسان أن يعمل بجد ويتكل على الله ، ويصلي اليه تعالى ليعطيه خبزه الكافي ، « فليس الغارس اذن بشيء ولا الساقي ، بل الله الذي ينمّي » ( ١ كو ٣ : ٨ ) ٠

ان الرب يعتني بأجسادنا كاعتنائه بأرواحنا ٠ وهو يعرف ما نحتاج اليه قبل أن نسأله ٠ ألم يكثر الخبزات في

البرية حيث أشبع آلاف الناس مرتين . وفي الوقت ذاته أوصاهم قائلاً : « اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الانسان لأن هذا الله الآب قد ختمه » ( يو ٦ : ٢٧ ) وقال أيضاً : «لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس . انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها ألستم أنتم بالحري أفضل منها » (مت ٦ : ٢٥ و ٢٦) .

ان الاهتمام بحاجات الجسد ليس فقط جائزاً بل واجباً أيضاً على الانسان ، وان الاجتهاد فضيلة ، والكسل رذيلة ، والعبد الشرير والكسلان يطرح الى الظلمة الخارجية ( مت ٢٥ : ٢٦ ) ولكن الاهتمام بهذه الأمور الدنيوية اذا بلغ درجة الجشع والشك بعناية الله والاضطراب وعدم الثقة به تعالى ينقلب هذا الاهتمام الى قلق مصدره قلة ايمان . ان الاهتمام الممدوح يعبر عنه سليمان في سفر الأمثال وهو يسأل الله تعالى قائلاً : « لا تجعل حظي الفاقة ولا الغنى بل ارزقني من الطعام ما يكفيني » وذكر الرسول بولس : التقوى مع القناعة تجارة عظيمة .. ( أم ٣٠ : ٨ ) وهذا التعبير يلخص بعبارة « خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » وخبزنا هو الخبز الذي نستحقه ، وقد حصلنا عليه بعرق جبيننا فهو خبز الحلال الذي لم نسلبه من أحد ، ولم نحصل عليه بطريقة غير مشروعة . وهو ( كفافنا ) أي ما يكفينا منه وتظهر هنا فضيلة القناعة . « لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء . فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » ( ١ تي ٦ : ٧ و ٨ ) . وان الله يعتني بالجميع « فانه يشرق

شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين »
( مت ٥ : ٤٥ ) ·

وعندما نسأله يعطينا خبزنا كفافنا اليوم ، نؤكد وصيته لنا بقوله « فلا تهتموا بالغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره » ( مت ٦ : ٣٤ ) أي لا تقلقوا كثيراً على المستقبل فالله يعتني بكم · ألم يعتن بشعب العهد القديم فكان يعطيهم « المنّ » في البرية يوماً فيوماً ولكن اذا احتفظ أحدهم بالمن لليوم التالي كان يجده قد فسد ·

## الخبــز الروحــي :

يفهم بعض الآباء من لفظة ( الخبز ) المذكورة في الصلاة الربانية ، ليس فقط كل ما نحتاجه من قوت لحفظ الجسد حياً ، وناميا ، وقويا ، بل أيضاً كل ما يمنحنا اياه الله من مواهب لأجل استمرار الحياة الروحية للروح لخلاصها ونيلها الحياة ونمو العطايا الصالحة لها ·

ففي طلبنا ( خبزنا ) نطلب خبزنا الروحي الذي هو المسيح يسوع ربنا الذي نتغذى به روحياً ، ونتوق الى هذا الغذاء الروحي كل يوم ، فقد قال الرب عن نفسه : « أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء » ( يو ٦ : ٤١ ) وقال أيضاً : « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه » (يو٦:٥٦) وقال لتلاميذه : « خذوا كلوا هذا هو جسدي » ( مت ٢٦ : ٢٦ ) فمثلما يتغذى الجسد من الخبز البسيط ، كذلك تتغذى الروح من الخبز الحي الذي هو القربان المقدس · وقد قال الرب على لسان صاحب الرؤيا : « من يغلب أعطيه المن »(رؤ٢:١٧).

وكذلك يفسر بعضهم « الخبز » بكلمة الله المعطاة منه تعالى في كتابه المقدس ، فعلى المؤمن أن يواصل دراسة الكتاب، لتكون كلمة الله غذاء روحياً له ·

## الطلبة الخامسة

**« واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً لمن أخطأ الينا »** ( مت ٦ : ١٢ ) :

ان الخطية حال فساد الارادة لدى الانسان ، وقد وصفت بأنها التعدي على وصايا الله ، كقول الرسول يوحنا « من يفعل الخطية يفعل التعدي » ( ١ يو ٣ : ٤ ) فاذا قلنا تعدى السهم الهدف ، نعني بذلك أنه لم يصبه ، أي خرج عنه ، وكذلك من يخطيء يكون قد تعدى وصايا الله وخرج عنها · فان جوهر الخطية هو مقاومة الله بعدم اطاعة أوامره وتجنب نواهيه واهمال وصاياه تعالى · واحدى الألفاظ السريانية لكلمة خطية هي : ( حَوبو ) وتعني ( الدَين ) والدين هو عدم الوفاء بالواجب · فنحن نخطيء عندما لا نفي بواجبنا لله ، أي لا نقوم بواجبنا نحوه تعالى · فليست الخطية اذن عمل الشر فحسب بل هي أيضاً عدم عمل الخير · ليست هي تجنب الرذيلة فقط بل أيضاً عدم ممارسة الفضيلة · واذا كانت شريعة العهد القديم شريعة نهي ، فشريعة العهد الجديد هي شريعة أمر ·

وفي هذه الطلبة يريدنا الرب أن نفحص قلوبنا ، ونعترف أمامه بأننا خطاة · فاننا وان كنا قد تبررنا بدم المسيح يسوع مخلصنا ، فاننا معرضون للسقوط في الخطية طالما نحن لابسون الجسد ، كقول الكتاب « لأنه ليس انسان لا يخطيء »

( ١ مل ٨ : ٤٦ ) · ولكي نعطي مجداً لله ، علينا أن نعترف بخطايانا ، كما فعل العشَّار حين وقف بخشوع أمام الله ، وهو يقرع صدره ويقول : « ارحمني اللهم أنا الخاطىء » ( مت ١٨ : ١٣ ) ونزل الى بيته مبرراً ·

ان الرب لا يشاء موت الخاطىء بل أن يتوب فيحيا ، لذلك فسح لنا مجال التوبة ووعد بأن يقبل كل من يقبل اليه تائبا . ولا بد من أن يسبق المغفرة ندامة تامة ، وتبكيت صارم ، وجزم بعدم العودة الى الخطية . وتغيير لسيرة الانسان كبرهان على صدق توبته ، وعلامة على قبول الله له ونيله المغفرة · وفي الصلاة الربانية ونحن نطلب المغفرة من أبينا السماوي ، نؤكد له بأننا قد نفذنا أوامره ، وغفرنا لكل من أخطأ الينا بأي نوع كان · لأن هذه الطلبة مشروطة ، لذلك يؤكد الرب على وجوب اتمام الشرط فيها ، فبعد أن انتهى الرب من سرد الصلاة الربانية قال : « فانكم ان غفرتم الناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم ، وان لم تغفروا للناس فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاتكم » ( مت ٦ : ١٤ و ١٥ ) · فاذا كان الله القدير يغفر لنا ذنوبنا فما أجدر أن يغفر بعضنا لبعض الخطايا والذنوب · وقد أمرنا الله أن نحب بعضنا بعضاً وحتى أن نحب أعداءنا ( مت ٥ : ٤٤ ) والمحبة تقودنا الى المغفرة · وقد أوصانا الرب أيضا قائلا : « اذا قمتم للصلاة اتركوا لمن لكم عليه شيء كي يغفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم » ( مر ١١ : ٢٥ ) · وكان هو مثالا لنا فعلى الصليب طلب من أبيه أن يغفر لصالبيه لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣:٣٤) وقد اقتدى به اسطيفانس بكر الشهداء فطلب المغفرة لراجميه بقوله : « يا رب لا تقم لهم هذه الخطية » ( أع ٧ : ٦ ) ·

ولما سأل بطرس الرب مرة قائلاً : « كم مرة يُخطىءُ اليَّ أخي وأنا أغفر له . هل الى سبع مرات . قال له يسوع لاأقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات » ( مت ١٧ : ٢١ و ٢٢ ) ثم ضرب مثل الانسان الذي حاسب عبيده وسامح العبد الذي كان مديناً بعشرة آلاف وزنة . ولما خرج هذا العبد من عند سيده وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديناً له بمئة دينار فأمسكه ، وأخذ بعنقه قائلاً أوفني مالي عليك فخرَّ العبد رفيقه على قدميه وطلب اليه قائلاً تمهل عليَّ فأوفيك الجميع . فلم يُرد بل مضى وألقاه في سجن حتى يوفيَ الدين ، فلما رأى العبيد رفقاؤه مما كان حزنوا جداً وأتوا وقصَّوا على سيدهم كل ما جرى . فدعاه حينئذ سيده وقال له : أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت اليَّ أفما كان ينبغي أنك أنت ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا .. وغضب سيده وسلمه الى المعذبين حتى يفيَ كل ما كان له عليه . فهكذا أبي السماوي يفعل بكم ان تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » ( مت ١٨ : ٢٣ ـ ٣٥ ) .

ففي طلبتنا من الله أن يغفر لنا ذنوبنا وفي مغفرتنا لمن أخطأ الينا ، نستأصل الغضب والحقد من نفوسنا ، فان خطية واحدة مهما صغرت تعكر صفو حياتنا الروحية بل تضعنا في صف الخطاة المذنبين حيث تطفأ نار القداسة من قلوبنا « لأن من حفظ كل الناموس وانما عثر في واحدة صار مجرماً في الكل » ( يع ٢ : ١٠ ) على حد قول الرسول يعقوب ، ولذلك فالرسول بولس يوصينا قائلاً : « اغضبوا ولا تخطئوا . لا تغرب الشمس على غيظكم . ولا تعطوا ابليس مكاناً وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح » ( أف ٤ : ٢٦ و ٢٧ و ٣٢ ) .

## الطلبتـان السادسـة والسابعـة

### « لا تدخلنـا في التجربـة ، لكن نجنـا مـن الشـرير » ( مت ٦ : ١٣ ) :

### ١ ـ لا تدخلنا في التجربة :

بعد أن طلبنا من الله مغفرة الخطايا ، وتغمد الذنوب ، التي سبق أن اقترفناها ، نطلب منه هنا أن يبعدنا عن أسباب الخطية · فالتجربة هي الامتحان ، والرسوب في هذا الامتحان هو السقوط في الخطية ، والمجرّب هو ابليس عدونا كقـول الرسول بطرس « اصحوا واسهروا فان ابليس خصمكم كالأسد يزأر ويجول ملتمساً من يبتلعـه » ( ١ بط ٥ : ٨ ) وقـول الرسول بولس : « ان مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحم بل مـع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهـر مع أجناد الشر الروحية في السماويات » ( أف ٦ : ١٢ ) وهذه القوات الشريرة قوات ابليس التي تحاربنا هي عدوة الله وهي القوة المخربة التي صارت رمز كل أمر ضد الله وضد الانسان المحب لله · فعلينا أن نحاربها لنكون الى جانب الله ومحاربتها تكون بسلاح الصلاة والصوم كوصية الرب : « وأما هذا الجنس فلا يخرج الا بالصلاة والصوم » ( مت ١٧ : ٢١ ) ·

واننا جميعاً معرضون للتجارب ، خاصة بعد نوال مغفرة خطايانا حيث يتفاقم الخطر علينا بالسقوط ثانية في الخطية ، لذلك يقول الرسول بولس : « اذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » ( ١ كو ١٠ : ١٢ ) ويكشف لنا الرب يسوع حيـل ابليس وأساليبه في القتال بقوله تعالى : « اذا خـرج الـروح النجس من الانسان فانه يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب

راحة ولا يجد . ثم يقول ارجع الى بيتي الذي خرجت منه . فيأتي ويجده فارغاً ، مكنوساً مزيناً . ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه فتدخل وتسكن هناك فتصير آواخر ذلك الانسان أشر من أوائله » ( مت ١٢ : ٤٣ ـ ٤٥ ) .

كثيراً ما كانت التجربة مفيدة فقد أظهرت صمود الآباء والأبرار وفضيلتهم ، ولذلك يقول الرسول بولس : « فمن لا يجاهد لا ينال الأكليل » ( ٢ تي ٢ : ٥ ) وقال الرسول يعقوب : « طوبى للرجل الذي يصبر على التجربة لأنه اذا زكي ينال أكليل الحياة الذي وعد به الله الذين يحبونه » ( يع ١ : ١٢ ) . وقال أيضاً « ان وقعتم في تجربة احسبوها لكم كل سرور » ( يع ١ : ٢ ) . وقد صرح الرب يسوع بأن طريقنا الى الملكوت مليء بالآلام « ولكن الذي يصبر الى المنتهى يخلص » ( مت ١٠ : ٢٢ ) .

ان حياتنا على الأرض هي صراع دائم ، وحرب طاحنة مستمرة ( أي ٧ : ١ ) وقد أوصانا الرب أن نطلب من أبيه ألا يدخلنا في التجربة ، ذلك أنه تعالى يعرف ضعف طبيعتنا كقوله: « أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف » ( مت ٢٦ : ٤١ ) كما يعرف الرب جيداً ميلنا الى الخطية وسرعة سقوطنا لذلك حذر سمعان بقوله له « سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة . ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى ايمانك ، وأنت متى رجعت ثبت أخوتك » ( لو ٢٢ : ٣٢ ) . وسمعان هذا اذ وثق بنفسه أكثر مما يجب وقال للرب « لو الجئت الى أن أموت معك لا أنكرك » ( مت ٢٦ : ٥٦ ) جرب وسقط في الخطية ، اذ أنكر الرب ثلاث مرات ، أمام جارية حقيرة . ولولا بكاؤه ، وندامته ، النصوح ، لكان مصيره مصير يهوذا التلميذ الخائن .

ما أجمل ما كتبه الرسول بولس وهو يشجع المؤمنين على مقاومة ابليس قائلاً : « واله السلام يسحق الشيطان عند أرجلكم سريعاً » ( رو ١٦ : ٢٠ ) والرسول بولس يعرف حيل ابليس وقد كتب الى أهل تسالونيقي يقول : « وأردنا أن نأتي اليكم أنا وابولوس مرة ومرتين وانما عاقني الشيطان » ( تس ٢ : ١٨ ) .

وان ابليس عدونا يتخفى ولا يظهر أمامنا كما فعل يوم جرّب أبوينا الأولين وقد يأتينا بشكل صديق ، وناصح ، ومحب . لذلك علينا أن نحذره ، متجنبين أسباب الخطية ومصادرها ، وأصولها ومواقعها ومريديها كما أوصانا الرب بقوله : « فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم » ( مت ٥ : ٢٩ و ٣٠ و مر ٩ : ٤٧ ) . كما يحذرنا صاحب المزامير من معاشرة رجال السوء حيث يقول : « طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس . لكن في ناموس الرب مسرته ، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلا . فيكون كشجرة مغروسة على مجاري المياه ، التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح » ( مز ١ : ١ ــ ٣ ) .

وان السيد المسيح مثالنا بالتغلب على ابليس . فقد أخذه الروح باختياره وسماحه الى البرية، فجُرِّبَ من ابليس بعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، وجاع . وانتصر على الشيطان اللعين لينصرنا معه عليه وكلم الرب ابليس في آخر تجربة كشخص أمامه قائلاً له : اذهب يا شيطان ( مت ٤ : ١٠ ) ويقول البشير لوقا : « لما أكمل ابليس كل تجربة فارقه الى

حين » ( لو ٤ : ١٣ ) فالشيطان شخص روحي ، مقتدر جداً ، يقصد اهلاك الانسان قال عنه الرب يسوع : « ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب » ( يو ٨ : ٤٤ ) ولكن الرب يسوع انتصر عليه وأعطانا النصر عليه وحق للرب أن يقول : « ثقوا أنا غلبت العالم » ( لو ١٦ : ٢٣ ) ويقول الرسول يوحنا عنه : « لأجل هذا أظهر ابن الله كي ينقض أعمال ابليس » ( ١ يو ٣ : ٨ ) ٠ وعلى الصليب تم نصر الرب على عدو البشرية ، اذ سحق رأس ابليس تحت الصليب وحطم به قواه ، وقصم ظهره ، وهشم أضراسه وقلم أظفاره ٠ وأعطانا الصليب سلاحا لا يقهر لنحارب عدونا الروحي ونظفر به بالمسيح يسوع ربنا الذي مات لأجلنا ، وقام من بين الأموات وأقامنا معه ٠ وبذلك نجانا من الشرير ٠ ولكن ابليس الذي فارق المسيح الى حين ، وعاود ونزل معه في المعركة المصيرية معركة الصليب ، لا يزال يحاول دائماً قهر أتباع المسيح يسوع ، فعلينا أن نكون دائماً مع المسيح لنضمن الغلبة على عدوه وعدونا ابليس ، وأن نكون ساهرين يقظين مصلّين اتماماً لوصية الرب « اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة » ( مت ٢٦ : ٤١ ) ٠ ففي السهر والصلاة تستمر علاقتنا بالرب يسوع وغلبتنا على عدونا الروحي « ومن يغلب ( قال الهنا ) هكذا يلبس ثياباً بيضا ولا أمحوا اسمه من سفر الحياة ، وأنا أعترف باسمه قدام أبي وملائكته » ( رؤ ٣ : ٤ ) « من يغلب اجعله عموداً في هيكل الهي » ( رؤ ٣ : ٢١ ) ٠

## ٢ ـ « لكن نجنا من الشرير » :

تعتبر هذه الطلبة تتمة للطلبة السابقة · فنجاتنا من الشرير كنجاتنا من التجربة والعكس بالعكس · والرب قد سأل أباه السماوي لأجلنا قائلا : « لست أسأل أن ترفعهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير » ( يو ١٧ : ١٥ ) وهذا الشرير هو الشيطان الذي تظهر خطورته بحيله فهو يخفي نفسه كما فعل في الفردوس عندما جرّب أبوينا الأولين ، أو يظهر بأشكال شتى ، حتى ان الرسول بولس يقول عنه : « لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله الى شبه ملاك نور » ( ٢ كو ١١ : ١٤ ) وما أخطر العدو المتخفي · ويوصينا الرسول بولس قائلا : « البسوا سلاح الله الكامل كي تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد ابليس » ( اف ٦ : ١١ ) فطالما نحن لابسون سلاح الله الكامل لا نخاف ابليس . لأن الرب يحيطنا بعنايته ، ويرمقنا بعين رعايته وقد وعدنا قائلا : « أليس عصفوران يباعان بفلس · وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم · وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة· فلا تخافوا · أنتم أفضل من عصافير كثيرة » ( مت ١٠ : ٢٩ـ٣١ و لو ١٢ : ٧ ) · ما أسعد المؤمن الذي يشعر بأن الله يرعاه ، كما شعر داود يوم رتل مزموره الثالث والعشرين قائلا : « الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء ·· أيضاً اذا سرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك معي » ( مز ٢٣ : ١ و ٤ ) فالله راعينا· وهو معنا و « ان كان الله معنا فمن علينا » ( رو ٨ : ٣١ ) وقد دعي اسمه علينا وهو عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا ، فعلينا أن نكون معه · فيهرب الشرير عنا ·

## □ الخاتمـــة :

**« لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد •** آمين » **:**

تلخص لنا هذه الخاتمة الصلاة الربانية • ففي بدئها أن يأتي ملكوت الله ، والآن نعلن أن الملك له تعالى ، ولا غرو فسلطانه في الأرض والسماء ويشمل سائر المخلوقات الروحية والبشرية وغيرها • كما اننا نعترف في هذه الخاتمـة أن الله تعالى هو القوي الذي أمره ينفذ لا محالة فهو الآمر ، والناهي، ولذلك طلبنا اليه في صلاتنا أن تكون مشيئته لا مشيئـة أي مخلوق مهما سما •

وبما أن لله الملك والقوة فله المجد أيضاً • وعلى سائر المخلوقات أن تمجده ، وتسبحه ، وتعظمه وتقدس اسمه الالهي كما سبق وطلبنا اليه •

فالملك لله خالقنا ومبدعنا ، ونحـن عمل يديه وعبيـده وأبناؤه بالنعمة ، وغنم رعيته •

والقوة لالهنا فهو الذي يهيمن على العالمين • وقد آعطانا القوة والسلطان على الأبالسة أعدائه وأعدائنا ، ولذلك عندما قال له التلاميذ السبعون : « يا رب حتى الشياطين تخضع لنـا باسمك » قال لهم : « رأيت الشـيطان ساقطاً مثل البـرق من السماء • ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقـارب وكل قوة العدو • ولا يضركم شيء • ولكن لا تفرحوا بهـذا ان الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السموات » ( لو ١٠ : ١٧ ــ ٢٠ ) •

وان مملكة الهنا ثابتة الى الأبد · « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » ( مت ١٦ : ١٨ ) ليتمجد اسمه القدوس فيها كما في السماء كذلك على الأرض « ولا يكون لملكه انقضاء » ( لو ١ : ٣٣ ) **لأن مملكته هذه لا بداءة لها ولا نهاية ·**

**آمين ·** وتعني هذه اللفظة فليكن · كما تعني أيضاً : حقا ( ٢ كو ١ : ٢٠ ) واذ نختم بها الصلاة الربانية وكل صلاة كأننا نريد أن نقول اللهم اقبل صلاتنا · آمين

★ ★ ★



# فهرس

مطابع ألف باء الأديب



# حصاد المواعظ


تأليف

مار أغناطيوس زكا الأول عيواص

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

السريان الأرثوذكس